الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة : التاريخ

-مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تخصص الغرب الإسلامي بالعصر الوسيط الموسومة بـ

البدع والانحرافات بالغرب الإسلامي على العهد الموحدي

(القرنين 6 و7 الهجري / 12و 13 الميلادي)

من إعداد الطالبتين:

- أسماء جاب الله
- ميمونة مكروسني

إشراف الاستاذة:

د. طيب بوجمعة نعيمة

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الصفة
د. بورملة عربية	رئيسا
د. طيب بوجمعة نعيمة	مشرفة ومقررة
أ.تريكي فتيحة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1441هـ-1442 هـ

2019 م-2020 م

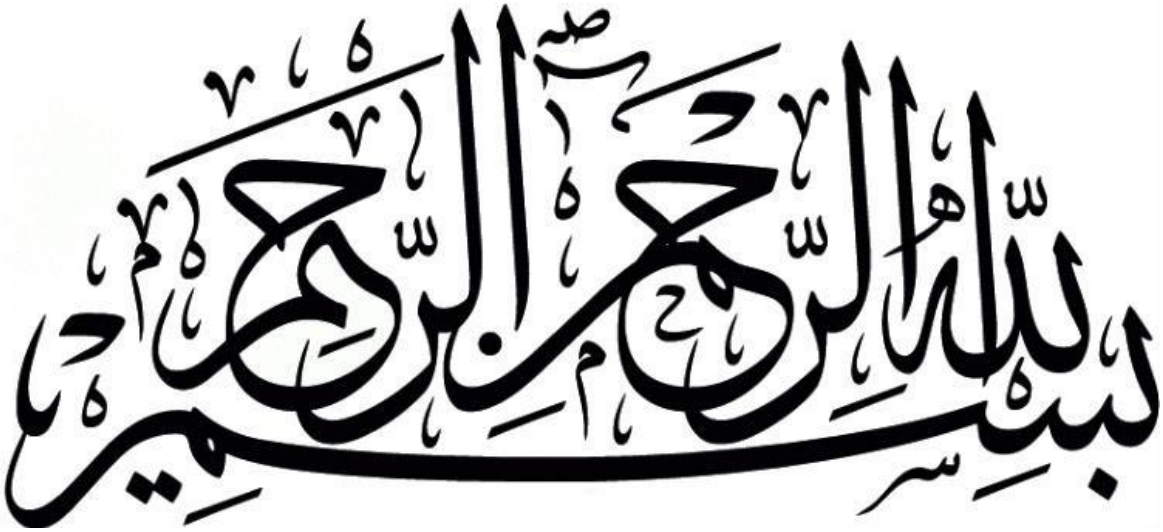
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

"ئى ئي ابراهيم: ٧

الحمد لله الذي وفقنا وأمدنا بالقوة لإنجاز هذا البحث، نحمده حمدا كثيرا مباركا فيه، فأول الشكر له سبحانه وتعالى فهو الموفق والهادي إلى كل خير ،ثم نتقدم بالشكر إلى أستاذتنا المشرفة

" نعيمة طيب بوجمعة "

و الى كل من ساعدنا في أنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

إهداء

إلى منبع الحنان والعطاء .....أمي.

إلى من شاركني حلاوة الحياة إخوتي وأخواتي .

إلى زوجي رفيق دربي عبد الحميد.

إلى الكتاكيت : إيمان،جيهان، حياة، ياسين، هدى، فاطمة، ميار، نسيبة، رونق ورضا،ريتاج وطيوبة.

إلى صديقتي التي قاسمتني هذا العمل المتواضع منى.

أهديكم سلاما لو رفع إلى السماء لكان قمرا منيرا.

ولو نزل إلى الأرض لكساها سندسا وحريرا.

إلى كل هؤلاء أهدي هذه البذرة الطيبة.

جاب الله أسماء

إهداء 2

إلى من لا تحلو الحياة بدونهما و لا يطيب العيش إلا بدعائهما

... إلى أمّي و أبي...

إلى سندي في دنياي وأحبتي... إخوتي وأختي الحبيبة

إلى من لم أنجبها لكني أعتبرها ابنتي ... وفاء و البنوتة إكرام

إلى من شاركتني هذا العمل صديقتي و أختي أسماء

إلى من لا يسعهم الورق لكن هم في القلب أحبة

إليكم جميعا أهدي هذا العمل و الفضل كلّه لله

مكروسني ميمونة

قائمة
المختصرات

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
ج	الجزء
دط	بدون طبعة
تر	ترجمة
د ت	بدون التاريخ
ق	القسم
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
تع	تعليق
(.....)	كلام مبتور
مج	مجلد
"....."	اقتباس مباشر

مقدمة

كان لقيام دولة الموحدين دور كبير وأثر بالغ لأهميته في المغرب والأندلس لاسيما ذلك الاثر الذي تركه الموحدون على المجتمع، فقد تمكنوا من تشكيل كيان اجتماعي قوي رغم اختلاف العناصر البشرية المكونة له والتي ساهمت في إثراء تاريخه، لذلك من المفيد جدا الإلمام بأحوال العامة خاصة في فترة الأزمات والمحن التي عرفتها البلاد، فقد عرف الغرب الإسلامي في عصر الموحدين وخلال تاريخه الطويل العديد من الأزمات والشدائد التي عصفت به ، تغلب على بعضها وفشل أمام البعض الآخر منها، لكن بالمجمل نجد أن تلك الأزمات قد أثرت على التوازن الاجتماعي والعلمي سواء على شكل انحرافات أخلاقية أو على شكل ذهنيات تجلت بالإيمان والاعتقاد وبالخرافة والسحر والشعوذة.

وهذه السلوكيات لم تأت من فراغ فلقد كان لبعض الظواهر الطبيعية والسياسية كالمجاعات والأوبئة والحروب مثلا تأثير كبير على سلوكيات المجتمع ومحاولة تغييرها أو تعديلها ما خلق لنا في المجتمع بعض الشرائح اتبعت أساليب تتنافى مع الشرع ، وقد كان للحكام الموحدين مواقف مختلفة من تلك الانحرافات التي انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي.

واخترنا م وضوع **"البدع والانحرافات بالغرب الإسلامي على العهد الموحدي خلال القرنين6و7الهجري12و13الميلادي"** لمجموعة من الأسباب أهمها:

-إن مثل هذه الدراسات الاجتماعية والعلمية تتصدر اهتمامات البحوث مؤخرا كدراسة لمازوزية حدودة المعنونة ب"سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية"، خاصة وأن المجتمع الموحدي متعدد الثقافات والأجناس وما ينتج عن هذا التنوع من تفاعلات مختلفة خاصة الأخلاقية مثيرة للاهتمام ويحتاج مزيدا من البحث والدراسة.

-مساعدة الباحث أو القارئ على إجراء مقارنة بين الماضي والحاضر لمثل هكذا موضوع.

ويشكل موضوع البحث أهمية كبيرة وهذا من منطلق ما نطرحه إشكالية البحث: ما أسباب ظهور هذه الانحرافات في بلاد المغرب والأندلس؟ وما أثرها على المجتمع؟ وماهي العقوبات التي سلطت على المتجاوزين والمخالفين؟ وهل كان للمتصوفة و الفقهاء دور في إصلاح المجتمع أم هم الآخرين ساهموا بشكل سلبي في انتشار بعض البدع؟.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي القائم على على سرد الاحداث حسب المصادر والمراجع ومن أجل تحليل بعض المسائل والتعليق عليها كموقف الموحدين من هذه الانحرافات اعتمدنا على المنهج التحليلي .

وبالنسبة لخطة البحث فقد ارتأينا تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، بدأنا موضوعنا بمقدمة تدرجنا فيها منهجيا بدءا بالتعريف بأهمية الموضوع ثم الإشارة إلى الأسباب التي دفعتنا لاختياره، ثم عرضنا الإشكالية والتساؤلات الفرعية، والمنهج المتبع في الدراسة، وشرحنا الخطة المتبعة للوصول إلى النتيجة المنشودة، كما وقمنا بتحليل لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في العمل، إضافة إلى الصعوبات التي اعترضتنا لإنجاز هذا البحث .

حيث تناولنا في الفصل الأول: "الأوضاع العامة للدولة الموحدية" أردنا من خلاله معرفة طبيعة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية والعسكرية التي عرفها الغرب الإسلامي خلال فترة حكم الموحدين، وهل كان لها دور في البدع والانحرافات التي ستعرفها البلاد.

أما الفصل الثاني: " الانحرافات الاجتماعية في المغرب والأندلس و موقف الموحدين منها "، تناولنا في مبحثه الأول الانحرافات الاجتماعية في المغرب والثاني الانحرافات الاجتماعية في الأندلس بهدف معرفة نوع تلك الانحرافات والبدع هل هي نفسها في المنطقتين أم أن بلاد المغرب هي التي صدرت تلك الآفات لبلاد الأندلس أم العكس، كما حاولنا معرفة موقف الحكام الموحدين منها.

وعالجنا في الفصل الثالث " الانحرافات العلمية في ا المغرب والأندلس وموقف الموحدين منها "وجزءناه هو الآخر إلى مبحثين، تطرقنا في الأول إلى الانحرافات العلمية بالمغرب أما الثاني فتحدثنا فيه عن الانحرافات العلمية في الأندلس موضحين الدور الذي لعبه حكام الموحدين والإستراتيجية التي انتهجوها لمحاربة تلك الانحرافات من وعظ وإرشاد وترغيب وترهيب.

وصولا إلى خاتمة ضمت مجمل الاستنتاجات والخلاصات والملاحظات التي توصلنا إليها، كما حاولنا الإجابة عن الإشكالية والتساؤلات الفرعية المطروحة.

ولإنجاز هذه المذكرة اعتمدنا عبر مختلف فصولها ومباحثها على مجموعة من المصادر والمراجع التي تمكنا من الحصول عليها، ولعل من أهمها:

المصادر :

1- كتاب"أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين" لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، من تحقيق ومراجعة عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية،الرباط، 2004م،وقد جاء الكتاب يروي سيرة المهدي بن تومرت بالتفصيل الدقيق حيث كان المؤلف مرافقا للمهدي ابن تومرت وأحد تلاميذه، كما رافق أيضا عبد المؤمن بن علي، وكان من أشد المخلصين للدعوة الموحدية مما جعله يعاصر بعض الأحداث، وكان شاهد عيان في الكثير من الأحيان ،فنجده يصف لنا بعض الأحداث بعناية شديدة إلا أنه يميل أحيانا إلى المدح والمبالغة والذاتية لصالح الموحدين ، وكذا يذكر مواقف لابن تومرت من بعض الانحرافات التي شهدها هذا الاخير في رحلته بالمغرب،كما استفدنا منه في الجانب السياسي.

2- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه أبي العباس احمد بن عذاري المراكشي المتوفي في أواخر القرن السابع الهجري من تحقيق اليفني بروفينال بيروت، 1980،وقد أفادنا هذا الكتاب في البحث خاصة قسم الموحدين. وهو أوسع المصادر التاريخية ويعد أهمها في تاريخ المغرب

والأندلس بالعصر الإسلامي. كما وقد أفادنا كثيرا لاحتفاظه بالرسائل الديوانية الصادرة من السلطة الموحدية.

2-المعجب"،ألفه عبد الواحد المراكشي(ت: 667هـ/1269م)،فهو كتاب تاريخ وسياسة، ومصدر أصيل من المصادر التاريخية للدولة الموحدية، وتكمن أهميته في اهتمام المراكشي بالنظم الموحدية، فقد حرص على ذكر ولاة ووزراء كل خليفة وفي معرفة بعض المنكرات التي أنكرها المهدي في رحلته أثناء عودتع من المشرق الى المغرب، كما استفدنا منه في معلومات جغرافية.

3-كتاب"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لصاحبه أبي عبد الله محمدين إدريس المعروف بالشريف الإدريسي المتوفي سنة 560هـ/1165م ويعتبر أعظم كتاب جغرافي يحتوي على دراسة جغرافية وصفية للأقاليم والمدن بطابع سياسي واقتصادي واجتماعي في آن واحد، وقد استعنا بالمجلد الأول وجزئه الخاص بإفريقيا والأندلس، وقد أفادنا في التعريف جغرافيا ببعض المناطق المذكورة في الأطروحة،كما وقد استثمرنا معلوماته في الظواهر التي لفتت انتباهه خاصة ماله علاقة بالسلوكات غير السوية.

4-كتاب"الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس" لصاحبه أبي عبد الله بن عبد الحليم المعروف بابن زرع، توفي في النصف الأول من القرن 8هجري، يتناول هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من سنة 145هـ إلى 724هـ أي انه يتضمن فترة خمس دول قامت في بلاط المغرب، بداية بدولة الادارسة ومرورا بدول أخرى منها الموحدية وينتهي عند الدولة المرينية. وقد أفادنا في معرفة موقف الموحدين من الفقه المالكي السلبي والايجابي.

-المراجع:

إضافة إلى المصادر السابقة، اعتمدنا على عدد من الأعمال الحديثة التي تتفاوت في قيمتها وأهميتها ومن بين أهم هذه المراجع، نخص بالذكر:

1-كتاب"الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصري المرابطين والموحدين" لحسن علي حسن،كلية دار العلوم،جامعة القاهرة،مصر،الطبعة الأولى،سنة 1980م،حمل في طياته معلومات قيمة على دولتين قامتا في بلاد المغرب،استفدنا منه في التحدث سواء عن نظام الحكم أو الجهاز العسكري.

*كما لم تغفل الدراسة الإطلاع على بعض الدراسات الحديثة للباحثين الجامعيين، كرسالة ماجستير في التاريخ الوسيط لمزوزية حداد بعنوان سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية(515هـ-668هـ/1121م-1269م) أفادتنا في معرفة بعض مواقف الحكام الموحدين من خلال رسائلهم.

أما فيما يخص الصعوبات فنخص بالذكر منها: نقص المادة العلمية المصدرية التي تتناول بشكل كبير ومفصل للا نحرافات الاجتماعية والعلمية وموقف الموحدين منها خاصة في الأندلس. وكذا الصعوبات المتعلقة بمنهجية معالجة الموضوع وإيجاد إطار زماني لبداية تلك الآفات بسبب اتساع الموضوع وتشعبه وتداخله في بعض الأحيان.

وفي الأخير يسر الله تعالى لنا إخراج هذا العمل بهذه الصورة مع الأمل في إخراج بحوث أخرى تكون أحسن تخريجا وضبطا بتوظيف ما اكتسبناه من قدرات وأفكار أثناء هذه التجربة باعتبار هذا البحث محطة من محطات التكوين وليس منتهى البحث والتكوين.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للدولة الموحدية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية لدولة الموحدين

1 ـ الأوضاع السياسية:

وضع مؤسس الدولة الموحدية المهدي بن تومرت تنظيما سياسيا مختلفا عن الذي ساد في عهد المرابطين، يتميز بالصرامة والتعقيد مثل أساسا للدولة، وأخذ بعين الاعتبار الشكل البدائي والبسيط لما يمكن تسميته بالجمهوريات البربرية بمؤسساتها كالمزوار والجماعة والتي جعل منها بن توترت قاعدة لنظامه لكن مع صبغها بطابع جديد استفاد فيه مما أخذه في المشرق من معارف علمية وقدرات تنظيمية[1].

1-1. النظام السياسي :

1. الخلافة الموحدية:

أنكرت الدولة الموحدية بعد قيامها النظام الذي ساد في عهد المرابطين ووصلت لتكفيرهم حيث جاء في إحدى رسائل المهدي بن تومرت للموحدين حثهم فيها على الجهاد ضد المرابطين قائلا:«...فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله و اليوم الآخر...» [2]،ثم أقرت نظام الخلافة لكنها تنصلت من الخلافة العباسية وأنكرتها لتعلن عن خلافة جديدة عاصمتها مراكش وليس بغداد[3].

1.1. الخليفة:

---

[1]- أمبروسيوهويثي ميراندا، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،ط1، 2004،ص: 92 -93.

[2]- عزاوي أحمد، **رسائل موحدية مجموعة جديدة** ،القنيطرة ،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية،ط1، 1995م،ص:180

[3]- حداد مازوزية ، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية (515هـ-668هـ/1121م-1269م)** ،مذكرة م اجستير غير منشورة، اش:مسعود مزهودي ،جامعة الحاج لخضر باتنة 2013/2012م ،ص:49.

أخذ الخليفة مكانة عظيمة كان مرجعها ديني بالدرجة الأولى، حيث كان الخطاب الموجه إليه في الرسائل بصيغة الجمع وضمير الغائب اعتبرت فيه مكانة الخليفة فوق مستوى المخاطبة بالكاف، وبصفات مثل المقام الأعلى والحضرة الأمامية وأمير المؤمنين كما أخذ المدح والدعاء للخليفة النصيب الأوفر كما تشير إلى ذلك الرسائل الموحدية، ونستدل خلال هذا برسالة أهل إشبيلية التي بايعوا فيها يوسف بن عبد المؤمن خليفة للموحدين جاء فيها : «خلد الله أمرهم وأعز نصرهم بالاسم المبارك الكريم الذي أول من دعي به الفاروق رضوان الله عليه، مستبصرين في هذه البيعة الكريمة بنور الاهتداء سالكين في التزام الطاعة على المحجة البيضاء، عارفين ما أمر اللّه سبحانه من طاعة الخلفاء...»[1].

2.1. نظام الحكم من الخلافة بالإمامة و المبايعة إلى التوريث:

ويذكر البيذق الذي عاصر بدايات الدولة الموحدية أن أول من بويع لخلافة الموحدين كان محمد بن تومرت الذي ادعى أنه المهدوية، وتمت بيعته في منطقة تسمى بتينملل من أصحابه أولهم الخليفة فيما بعد عبد المؤمن بن علي، ولقب بن تومرت آنذاك بالإمام ونجد هذا اللقب قد استمر في عهد باقي الخلفاء لما فيه من تعظيم لشخص المهدي، وعقب وفاته التي أرخها البي ذق وابن عذارى في 524هـ/1130م[2]،في حين يرجعها ابن خلدون لسنة 522هـ/1128م،تولى صاحبه عبد المؤمن خلافة الدولة والذي كان قبل بيعته بمثابة الرئيس العسكري للموحدين الذين خاطبهم المهدي قبل وفاته قائلا: «أنتم المؤمنون وهذا أميركم، فاسمعوا له وأطيعوه مادام سامعا ومطيعا لربه فإن بدّل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين أعزهم الله بركة وخير كثير» [3]. وفي كتاب العبر لابن خلدون ذكر أن المهدي كان يدعوا عقب كل صلاة بدعاء : «اللهم بارك في الصاحب الأعظم» ، ويقصد بذلك صاحبه

[1]- عزاوي أحمد، المرجع السابق، ص: 109

[2]- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط، دار المنصور للطباعة و الوراقة، 1971م،ص: 34

[3]- عبيدات داوود، **الموحدون في الأندلس بين سنتي (1146م/1269م)**،الأردن، دار الكتاب الثقافي، ص: 25

عبد المؤمن ما جعل الموحدين يعتبرون ذلك تزكية له ووصية لهم بمبايعته وتم ذلك في العام 524هـ/1130م[1].

ولما اشتد بالخليفة عبد المؤمن بن علي المرض وحضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه قائلا لهم: «قد جربت ابني محمدا فلم يصلح لهذا الأمر وإنما يصلح له ابني يوسف»[2]، وصى بالخلافة لابنه يوسف أبي يعقوب من بعده لينتقل نظام الحكم من الخلافة بالبيعة إلى نظام في الواقع ملكي وراثي . وهنا تجدر الإشارة إلى أن يوسف بن عبد المؤمن لم يأخذ لقب أمير المؤمنين إ لا بعد مبايعته من قبل الموحدين عام 563هـ/1167م، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها الاضطرابات الداخلية وصراعه مع أخويه أبو يعقوب يوسف وأبو حفص عمر حول الحكم، وبعد بيعته تمكن يوسف من نيل رضا الموحدين بسبب ما وصلت إليه الدولة الموحدية من قوة في عهده وقربه من رعيته فحمل لقب أمير المؤمنين [3]. ومنذ وفاة عبد المؤمن استمر نظام التوريث في الحكم لكن تجلت عيوبه منذ تولي محمد الناصر الحكم عام 595هـ/1198م وهو لم يتجاوز السبعة عشر عاما، فتميز بالضعف وسوء السياسة، ولم تستقم أمور الحكم من بعده حيث أصبح يحكم الدولة صبيانها ما عجل بسقوطها[4].

2 . المجالس الاستشارية:

شرع المهدي في تأسيس نواة الدولة الموحدية بعد أن انضمت إليه مجموعة من القبائل في مقدمتهم المصامدة واستجاب لدعوته جموع من الناس أتيحت له الفرصة لإقامة نظام شوري في الحكم ما

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن ،**العبر**، ج: 6،بيروت ،الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،2001،ص: 220

[2]- ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**،ج:9،بيوت ،دار الكتاب العربي ،2012م،ص:461

[3]- ابن عذارى ، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب** ، ج: 3 ،تح: بشار معروف . ،تونس ،دار الغرب الإسلامي . ،ط1 ،2013م، ص ص173-195.

[4]- السلاوي، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** .،ج 1، تح: محمد عثمان ،بيروت، دار الكتب العلمية،1971م ،ص:220

يدل على أن الرجل كانت الشورى تشغل ذهنه وهي التي آخذ عليها حكام المرابطين واعتبرها عنصرا أساسيا في المضمون السياسي للدولة الموحدية، ولأجل ذلك وضع بن تومرت ثلاث مجالس استشارية [1]

2 .1. مجلس العشرة:

يجمع صحابته الأوائل الذين بايعوه ضدّ المرابطين وأعلاهم شأنا كان عبد المؤمن بن علي الخليفة في ما بعد وعبد الله الونشريسي وهو من المغرب الأوسط، وأبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي وكان زعيما محليا من تينملل، ومنهم عمر بن علي أزتاج وإسماعيل بن مخلوف ثم أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي وإسماعيل بن موسى، وأبو بكر بن تنجيت وأبو عبد الله بن سليمان وأخيرا عبد الله بن فلوبات، وظل هؤلاء العشرة طيلة الفترة الأولى من تاريخ الموحدين رؤساء الحركة الحقيقيين.

2 .2. مجلس الخمسين : يشمل خمسين رجلا من مختلف القبائل التي انضمت للمهدي بن تومرت ويهتم بمناقشة الخطط العسكرية والشؤون السياسية[2].

2 .3. مجلس السبعين:

بمثابة مجلس النواب في أيامنا ويشمل سبعين رجلا منهم أعضاء مجلس الخمسين وعشرون آخرون يمثلون قبائل أخرى[3]، غير أن ابن القطان في كتابه ينفي وجود هذا المجلس.

وقد نظم المهدي أفراد الدولة إلى طبقات متباينة في عددها و مختلفة في واجباتها بلغت ثلاثة عشر طبقة حسب ما جاء في نظم الجمان [4]،أهمها الثلاثة الأولى التي شملت على أهم رجال الموحدين

[1]- الصلابي علي محمد ، **صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)** ،عمان ،دار البيارق للنشر .ص 76

[2]- داوود عبيدات، المرجع السابق ،ص ص:22- 27

[3]- الصلابي علي محمد ،المرجع السابق،ص: 100

[4]- ابن القطان ،المصدر السابق ،ص ص:84- 130

الذين توفرت فيهم الكفاءة العقلية والقدرة العسكرية والتي كانت مهمتها تسيير دفة الحكم ومعالجة أمور الموحدين، أما الأمور الأخرى فأنيطت لها واجبات عسكرية وعلمية ودينية وتمثلت مهام هذه الطبقات في أربعة أجهزة سياسية وهي:

الجهاز الأول: يشمل مجلس العشرة والخمسين والسبعين وقد سبق شرحهم.

الجهاز الثاني:جهاز علمي ثقافي يشمل طبقة الطلبة والحفاظ.

الجهاز الثالث:جهاز عسكري يشمل طبقة الجند وطبقة الرماة والغزاة.

الجهاز الرابع : جهاز شعبي يضم مجموعة القبائل الموحدية منها هرغ ة، تينملل، جدميوة، جنفيسة وهنتاتة[1].

ومما سبق يظهر أن بن تومرت جعل الشعب طبقتين: الأولى قبائل الموحدين وهم أصحاب السلطان والسيادة، والثانية القبائل العربية التي تمثل جمهور الشعب الصامت وهم الجند الذين قامت الفتوحات على سواعدهم [2].أما بالنسبة للفترة التي تلت المهدي فقد احتفظ عبد المؤمن بالنظم التي أقامها المهدي لكنه أدخل بعض التحسينات الإدارية حيث استقر الأمر على نظام إداري جديد يضم إلى جانب الخليفة ولي العهد والوزير والكتاب والقضاة إضافة للطلبة والحفظة وولاة المحافظات ثمّ المحاسبين، واهتم اهتماما بالغا بطبقة الطلبة والحفاظ بأن كونهم على مبادئ الدين الإسلامي وخطى المهدي بن تومرت حتى جعل منهم علماء فعزل بذلك أشياخ المصامدة حين أشركهم في المشورة ، وأراد الخليفة عبد المؤمن تكوين إداريين من طراز جديد يجمعون بين العلوم الدينية ومختلف التدريبات

[1]- النجار عبد المجيد ، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت**،تطوان ،المعهد العامي للفكر الإسلامي، ط1، 1995، ص: 120.

[2]- داوود عبيدات ، المرجع السابق .،ص 23

الرياضية[1]،كما استحدث هيئة جديدة سماها أشياخ الموحدين التي ازداد نفوذها في عهد المستنصر حتى وصل لتعيين وعزل الخلفاء، حتى جاء عهد الخليفة المأمون الذي أراد تطهير الدولة من الأشياخ المستبدين فقتل أشياخ هنتاتة وتينملل وجدميوة وحتى يسقط شرعية وجودهم أسقط رسوم المهدية[2].

3 . الوزراء:

يذكر ابن القطان في كتابه نظم الجمان أن المهدي بن تومرت استوزر أصحابه العشرة الذين يقال لهم الجماعة[3]،أما في عهد عبد المؤمن بن علي فقد بدأت الوزارة تأخذ مكناها بين نظم الدولة وأسند هذا المنصب في البداية إلى أبي حفص عمر الذي يعتبر أول وزير في حين نجد من جمع بين وظيفتي الوزير والكاتب كأبي جعفر بن عطية الذي قتله عبد المؤمن عام 1158م بعد شك في أمره[4].

وهكذا استمرت الوزارة حتى نهاية حكم الدولة الموحدية غير أن نفوذ الوزراء اتسع مع نهاية عهدها خاصة في عهد الخليفة المستنصر كما تشير إلى ذلك الرسائل الموحدية والتي جاء في الخامسة السبعين منها وقد موجهة إلى الوزير لتخبره بهدوء الأوضاع في قشتالة ونجاح الزرع فيها وجاء في صدرها:«...وصل الله عزتكم من إجلالكم وإخلاصكم الود فيكم والشكر لحميد مقاصدكم...»، ومثل هذه العبارة تستعمل في الرسائل الموجهة إلى وزير الخلافة أو كبار الموظفين [5]، ويدل ذلك على السلطة التي وصلت إليها صلاحية الوزير في أواخر عمر الدولة الموحدية.

---

[1]- روجي لي تورتون،**حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و 13م** ، تر:أمين الطيبي. ليبيا،الدار العربية للكتاب،1993م، ص:72، 73

[2]- عمر موسى عز الدين،**الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم** ،دار الغرب الإسلامي،ص : 137 ،138

[3]- ابن القطان المراكشي،. المصدر السابق ،ص 126

[4]- مسعودي شهيرة ورحومة عائشة، **نظام الحكم في الدولة الموحدية وأثره في سقوطها (515هـ-668هـ/1121م-1269م)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، اش: واعظ نويوة، الوادي ،جامعة الشهيد حمة لخضر،2018. - 2019 ،ص :40

[5]- عزاوي أحمد .، المصدر السابق ، ص: 278

وفي الثلث الأخير من حياة الناصر بدأ استبداد الوزراء بالأمور فكان الوزير أبو سعيد عثمان بن جامع يصرف الأعمال دون علم الناصر أو استشارته، وبالعودة إلى عهد المستنصر الذي استخلف في سن صغيرة فقد استبد أعمامه وأشياخ الموحدين بسلطاته ومعه بدأت مرحلة الضعف الخلفاء وتنفذ الأشياخ والوزراء واستمرت حتى عهد يحي بن الناصر الذي قتل عام 632هـ/1236م، ومع المأمون وتعاقب خلفاء أقوياء من بنيه بدأت محاولات الخلفاء الجدية لاستعادة سلطة الخليفة[1]. وهكذا نجد أنّ الدولة الموحدية نظمت سياسيا بنظام هرمي يمثل الخليفة القمة فيها وحافظت خلال ذلك على الطابع القبلي لبلاد المغرب الإسلامي.

2 . الأوضاع العسكرية للدولة الموحدية:

اهتمت الدولة الموحدية بالجانب العسكري وكونت جيشا قويا جعل الدولة الأيوبية تستنجد بالخليفة المنصور لمحاربة الصليبيين

أ . تنظيم الجيش:

1. عناصره: تكون الجيش الموحدي من حشود من الجند القوي القادر على كسب المعارك لم تتيسر لكثير من الدول في التاريخ الإسلامي.

1 . 1. القبائل الموحدية : تشمل القبائل المغربية من المصامدة التي بايعت المهدي أول مرة وهي هرغة ، كومية، تينملل، هنتاتة، جنيفسة وجدميوة ثم بقية الصنهاجيين والزناتيين ممن اجتذبتهم الدولة الموحدية بقوتها وهيبتها[2].

[1]- عمر موسى عز الدين ، المرجع السابق ،ص: 137

[2]- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، القاهرة ، دار الرشاد ،ط5 ،2000 ،ص: 110

1 . 2. العرب: بدأت صلة الموحدين بالعرب منذ عهد عبد المؤمن بن علي حين أذاع بين الناس نسبه العربي لاستمالة عرب إفريقية للمشاركة في الجهاد بالأندلس[1]، وذلك من خلال تهجيرهم من إفريقية إلى المغرب الأقصى ودفعهم نحو الجهاد للتخلص من ثوراتهم، وهؤلاء العرب كانوا من عرب الزحفة الهلالية وهم الذين هزمهم عبد المؤمن عند سطيف عام 547هـ/1153م ولم يضمهم إلى الجيش الموحدي إلا بعد فتح إفريقية عام 554هـ/1160م، ونجد العرب شاركوا في عدة غزوات إلى جانب الجيش الموحدين منها غزوة شنترين في عام 579هـ/1184م بتعداد بلغ أربعون ألف فارس.

1 . 3 . الأندلسيين: شغلت هذه الفئة مراكز ثانوية في الجيش الموحدي كما أشركوا منذ عهد الخليفة عبد المؤمن في كل الحملات العسكرية ضد النصارى بالأندلس بحكم أنهم أعرف بمنطقتهم ، إضافة إلى أجناس أخرى من الأغزاز والروم والسودانيين[2].

2 . عتاده:

بدأت معدات الجيش الموحدي بسيطة وقليلة ومع اتساع رقعة تعقد ت وكثرت، وخير ما يصور هذا تطور استعمال الموحدين للمعسكرات والرايات والأسلحة واللباس، حيث اهتمت الدولة بكسوة العساكر وكانت تتكون من عمائم وبرانس وأكسية، كما تميز الجيش بكثرة الأسلحة وتنوعها التي كان مصدرها في البداية مما غنموا من المرابطين [3]، وفي عهد عبد المؤمن بن علي كان سلاح الموحدين هو الدرق والرماح، ويلاحظ في عصر خلفاء عصر الازدهار أنّ الجيش الموحدي كان يسلح بالسيوف

[1]- حسن علي الح سن، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)** ،مصر، مكتبة الخنانجي،ط1،1980،ص:310،311

[2]- عمر موسى عز الدين، المرجع السابق، ص :221

[3]- ابن القطان المراكشي، المصدر السابق ، ص: 128

والدروع والرماح والدرق والقسي والسهام والتروس[1]. وفي عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن استخدمت أسلحة أكثر تطورا مثل المجانيق والدبابات والأبراج كما تشير إلى ذلك الرسائل الموحدية [2]، ونجد الموحدين قد تفوقوا في الأساليب الدفاعية والحصار من خلال تحصين مواقعهم فقد سوروا مركز أعمالهم الحربية تينملل،كما اعتمدوا على حفر الخنادق وتشييد الأبراج للمراقبة، ولازمتهم هذه الميزة حتى في هجوماتهم كما حدث عند الهجوم الأول على مراكش عام 523هـ/1130م.أما فيما يخص راية الجيش ففي حياة المهدي بن تومرت راية بيضاء[3]، وسار الخلفاء على ذلك، لكن اختلفت الكتابة داخل الراية من خليفة إلى آخر[4]، وإلى جانب هذا العلم المميز اتخذ الخلفاء الموحدون سبعة أعلام لا تستخدم إلا في موكب الخليفة .

3 . نفقات الجيش:

احتل الإنفاق على الجنود ومعداتهم سواء كانوا في البر أو البحر النصيب الأوفى من الدخل المالي للدولة الموحدية باعتبار أن الجهاد احتل ركنا هاما من نشاط خلفاء الموحدين حيث كان عدد الجند الموحدين الذين يرتزقون من وراء انتسابهم للجندية بمدينة مراكش وحدها عشرة آلاف جندي، وقد وضعت مرتبات دعمت بالمنح والأموال أثناء الحملات العسكرية ناهيك عما كان يوزع عليهم أثناء الاحتفالات العامة، وبالنسبة للمرتبات فكانت تمنح ثلاث مرات سنويا بالنسبة للجند الموحدين أما بالنسبة لغيرهم من جنود الغز فمرتباتهم كانت شهرية وأرجع الخليفة المنصور ذلك إلى أنّ الجنود الغز غرباء لا شيء لهم ف البلاد عكس الموحدين [5]. ورغم كلّ ما تم ذكره من قوة للجيش الموحدي إلا أنه بقي

[1]- عمر موسى عز الدين، المرجع السابق، ص: 244

[2]- العزاوي أحمد، المصدر السابق، ص: 145

[3]- عمر موسى عز الدين المرجع السابق، ص ص:243 -247

[4]- ابن عذارى ،المصدر السابق، ص: 190

[5]- مؤنس حسين ، المرجع السابق ،ص: 224

مفككا دائما تنقصه القيادة الحازمة التي تقبضه قبضة محكمة وكان المنصور من الخلفاء القلائل الذين استطاعوا قيادة الجيش قيادة سليمة ومحكمة[1].

ب . الدولة الموحدية والحرب:

صبغ الموحدون حروبهم بالصبغة الدينية وجعلوا الروح الدينية هي الموجهة للجنود [2]، وقد تعددت غزواتهم وأهمها كان في عهد عبد المؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية، ففي عهده فتحت مدينة سلا عام 626هـ/1133م،ثم وهران وتلمسان عام 539هـ/1145م وبعدها فاس ودكالة وأسفي، وازدادت أطماع عبد المؤمن وكللت بفتح طنجة ومراكش عام 541هـ/1147م، وبسط نفوذه بعد ذلك على إفريقية عام 554هـ/1160م[3]،أما في عهد المنصور فقد بلغت قوة الموحدين ذروتها حين هزم النصارى بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن في موقعة الأرك عام 590هـ/1195م.لكن مع ضعف الدولة الموحدية في عهد الخليفة الناصر [4] ذي السبعة عشر عاما ظهر الفساد في الجيش الموحدي الباحث عن الترف ودب فيه التخاذل، وتجلى ذلك في معركة حصن العقاب عام 609هـ/1212م ويعزى ذلك إلى نظام التوريث الذي أقره عبد المؤمن وجعل الصبيان يحكمون الدولة ولم يكن لهم من الحكمة والساسة ما يمكنهم من استيعاب أمور الدولة. ولعل معركة حصن العقاب أكبر دليل حينما فر الأندلسيون من معركة الخليفة الناصر أمام النصارى في الأندلس انتقاما منه لقتله زعيمهم أبو الحجاج يوسف بن قادس، وفر الجند الموحدون من المعركة لأنهم لم يقبضوا أجورهم فهزم الجيش الموحدي هزيمة

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن .،**العبر**،ج1 .،بيروت ،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،2001 ،ص:465

[2]- عبيدات داوود ،المرجع السابق ،ص: 249

[3]- الكانوني العبدي محمد بن أحمد ،**علائق آسفي ومنطقتها بملوك الغرب** ،المغرب، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر،ط1 ،2004 ،ص:29

[4]-محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصرحكم سنة595هـ/1199م، لم يشهد عصره انجازات كالتي شيدها أبوه وانهزم أمام ألفونسو الثامن في معركةحصن العقاب،انظر:الصلابي،المرجع السابق،ص 402

نكراء ولم ترفع للمسلمين راية في الأندلس بعد ذلك وتتالت الهزائم على الدولة الموحدية حتى انتهت بسقوطها عام 694هـ/1269م[1].

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدولة الموحدين.

1-الأوضاع الاجتماعية:

تعددت الأجناس في الدولة الموحدية وبتعايشها أفرزت ثراءً في الحياة الاجتماعية بالدولة حيث ساهمت في التنوع الثقافي وفي حركة الجهاد ضد النصارى، كما شهد المجتمع الموحدي تنوعا طبقيا وطائفيا نتيجة الظروف السياسية والاتجاهات الدينية والثقافية التي مرت بها المنطقة.

1-1العناصر المكونة للمجتمع الموحدي:

البربر:

شكل البربر الغالبية العظمى من سكان الدولة الموحدية وعمودها الذي قامت عليه [2] ومنهم تأسست أكبر دولتين شهدهما المغرب في العصور الوسطى وهما دولتا المرابطين والموحدين ، وقد تشعبت القبائل البربرية لتشمل عدة فروع وبطون شكلت العنصر الأساسي للعديد من الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي وهي: المصامدة [3]،كومية، هرغة[4]، هسكورة، هنتانة، تينملل [5]، صنهاجة، لمتونة، وهؤلاء

[1]- مسعودي شهيرة ورحومة عائشة، المرجع السابق ،ص ص: 28- 36

[2] -ابن خلدون عبد الرحمن،**العبر**،ج:6، المصدر السابق،ص:245.

[3]-قبيلة بربرية من البرانس تسكن جبال الأطلس جنوبي مدينة مراكش بجبل درن، انظر: البيذق، المصدر السابق،ص:92

[4]-قبيلة مصمودية اسمها'ارغن' مسكنها الجنوبي وادي السوس الى الشرق من مدينة زوادنة،انظر: البيذق،المصدر السابق،ص33

[5]-جبل عالي شديد البرودة،يزدحم بالسكان وعلى قمته مدينة تحمل اسمه،وهي عامرة ومزدحمة ويخترقها نهر جار،انظر:الحسن بن محمد الوزان الفاسي،**وصف افريقيا**،ج1،تر:محمد حجي،محمد الأخضر،الرباط ،دار الغرب الاسلامي، ط2، 1982،ص114

البربر انقسموا من حيث حياتهم الاجتماعية إلى فئتين هما، الحضر وهم الذين يستقرون في القرى الساحلية وفي السهول الفلاحية، والبدو الذين يعيشون بدورهم في الهضاب والتلال والجبال[1].

العرب:

يعود وجودهم إلى الفتح الإسلامي ثم الغزو الهلالي بعده، حيث كان للعرب الهلالية دور بارز في الدولة الموحدية خاصة في الدفاع عنها ضد النصارى والثائرين، وكان أول اتصال للموحدين بالقبائل العربية عندما مر المهدي بن تومرت بأفريقية والمغرب الأوسط في طريق عودته إلى السوس حينها لقيته قبيلة الثعالبة مناصرة ومؤيدة [2]،انتشروا في البوادي والأرياف وتفرقوا في كل مكان، فمنهم من قصد المغرب الأقصى ويوضح عبد الواحد المراكشي أن أكثرهم قصد مدينة فاس وذلك في قوله : "كانت القيروان حاضرة المغرب فلما اضطرب أمرها، فر العرب منها ونزل أكثرهم بمدينة فاس"[3]. وقد استغل الموحدون طاقة العرب وطبيعتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها، وقد ذاع بين الناس أن عبد المؤمن كان نسبه عربيا[4]،فاتخذ عبد المؤمن ومن جاء بعده هذا النسب وسيلة لاستمالة العرب الموجودين في إفريقيا للاشتراك معهم في عمليات الجهاد بالأندلس، فقد لعب العرب دورا كبيرا في تقوية الجيش الموحدي بالمغرب والأندلس، حيث لم يخض الجيش الموحدي حربا إلا وكان للعرب حظ وافر فيها.

الأندلسيون:

[1]- المراكشي،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** (قسم الموحدين)،تح:محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط1، 1406 هـ/1985م،ص:423

[2]-السلاوي ، **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**،ج:2، تح: محمد عثمان، لبنان، الكتب العلمية،ط1 ، 2010،ص:90.

[3]-جمال أحمد طه، **الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)** ،المغرب، الوفاء للطباعة والنشر،ط 1، 1987م، ص: 62.

[4]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، ج: 6،تح: محمد الهاشمي الفيلالي، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1993،ص: 25.

إلى جانب البربر والعرب وجدت عناصر أخرى سميت بالأندلسيين ويطلق هذا اللفظ على المسلمين من أهل الأندلس [1]،ونتيجة لامتياز هؤلاء بالعديد من الميزات والخصائص ، من بينها قدرة الاستيعاب لدى فقهائهم والنبوغ الفكري والبراعة العلمية جعلتهم يستدعون الخلفاء الموحدين ومن سبقهم إلى عواصمهم ومدنهم الكبرى ويقربوهم منهم[2]

أهل الذمة:

أطلق اسم أهل الذمة على غير المسلمين، والذمة تعني الضمان والأمان الذي يكسبهم حقوق الرعاية ويلزمهم بواجبات، وقد عاشت جاليات من اليهود والنصارى داخل المجتمع الموحدي وفي أراضيه متخذة منها وطنا لها، وقد ذكر حسن علي حسن تعليل ابن خلدون ذلك بقوله: "ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية..."، كما اعتنق فريق من السكان الديانة المسيحية إلى المغرب عن طريق رهبان مصر في القرن الثاني للميلاد [3]. واستقرت فئات من اليهود في البوادي وانتشروا في المغرب من سلا إلى تيهرت، وأغلبهم أقام في مكناسة وسجلماسة [4] وغيرها، وفي الأندلس استقروا في المدن التي شكلت محطات أساسية حول الطرق التجارية ، ومن أهمها غرناطة التي سميت مدينة اليهود [5]. أما النصارى أو المسيحيين بالأندلس أو كما أطلق عليهم ابن الأثير مماليك الروم، وسمتهم مصادر أخرى بالعلوج والإفرنج،فقد كان وجودهم بالمغرب الإسلامي عل ى شكل أسرى حروب، وفي عهد الموحدين استعان

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص: 161.

[2]- شرقي نوارة، **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524هـ-667هـ/1126-1268م)**. رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، إش : عبد العزيز محمد لعرج، جامعة الجزائر،2007-2008م،ص: 51.

[3]- علي حسن الحسن،**الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس (عصر المرابطين والموحدين)**،مصر،مكتبة الخانجي،ط1، 1980،ص363.

[4]-مدينة في جنوب المغرب الاقصى ،تقع على طرف بلاد السودان،تبعد عن فاس بعشرة أيام نحو الجنوب،انظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،ج3،بيروت،دار الجبل،1988،ص:192.

[5]- محمد شريف سيدي موسى، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية في عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (6هـ-10هـ/12م-16م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط غير منشورة،جامعة الجزائر،2010/2009م،ص: 68.

الخلفاء بهذه الطائفة كمجندين في جيوشهم. وقد تعددت الأجناس في الدولة الموحدية، وبتعايشها أفرزت ثراءً في الحياة الاجتماعية، خاصة عند توافد عناصر أخرى على المنطقة كالأغزاز [1] والصقالبة[2] بأعداد كبيرة، والذين كانوا جزءا من الجيش الموحدي.

1-2 طبقات المجتمع الموحدي:

1-2- 1الطبقة الحاكمة:

أنشا الموحدون نظاما سياسيا اجتماعيا جديدا فهم أول من استحدث طبقات جديدة في المجتمع كـ"طبقة الطلبة" التي أوجده ا المهدي وذلك من أجل تقليص نفوذ الفقهاء ، وكانت خاصته تعرف بأصحاب المهدي لأن باقي من دخل في دعوته سماهم الموحدون، وقد كان اختيار هذا الاسم متوافقا مع ما كان مطلوبا منهم، فكانوا يعدون طلبة مهمتهم التَعلُّم على يد أستاذهم المتمثل في صاحب الدعوة الجديدة المهدي بن تومرت، ثم أصبحت مهمتهم فيما بعد حمل مبادئ المهدي، ونشر دعوته بين الناس، والحفاظ عليها. وعندما تولى الخليفة عبد المؤمن [3] الحكم صار اسم الطلبة يطلق على فئتين وهي: طلبة الحضر وطلبة الموحدين، طلبة الحضر هم العلماء الذين كانوا يجلبون إلى العاصمة مراكش ويمثلهم شيخ عند الخليفة بمثابة الوزير، أما طلبة الحفاظ فهم الذين جلبهم عبد المؤمن بن علي من مختلف القبائل الموحدية وأنشأ لهم مدرسة في مراكش لتعليمهم مبادئ الشريعة والدعوة الموحدية والإدارة [4].

---

[1]- هم جنس من الترك تقع بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين،دخلوا بلاد المغرب بقوة في عهد المرابطين في شكل مجموعات غازية لكن المرابطين تمكنوا من تسخيرهم كعنصر مهم في الجيش وتبعهم في ذلك الموحدون، انظر المراكشي،المصدر السابق،ص:228

[2]- أطلق الجغرافيون هذا الاسم على الشعوب السلافية في البلاد الممتدة مابين بر قزوين والبحر الادرياتيكي غربا وقد كان لهم دور في أعمال الحراسة والجيش على عهد الموحدين، ينظر:حسن علي حسن،المرجع السابق،ص: 255.

[3]-عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلي الكومي، من مواليد ضواحي تلمسان بمنطقة تسمى تاجرا سنة 487هـ-1095م، وهو خليفة ابن تومرت والمؤسس الفعلي للدولة الموحدية، انظر: المراكشي، المصدر السابق، ص:197.

[4]-المراكشي، المصدر السابق، ص:201

و طبقة الفقهاء"،تعرض الفقهاء لانتقادات لاذعة من طرف محمد بن تومرت بسبب حياة البذخ والرفاهية التي كانوا يعيشونها وانشغالهم بكسب الأموال وتحصيل المناصب وبقيام الدولة الموحدية قام ابن تومرت بتقليص نفوذ هذه الطبقة إلا انه لم ينجح في مساعيه نظرا لم كانة الفقيه بين الناس خاصتهم وعامتهم. وقد تميز فقهاء تلك الفترة بثقافة كبيرة ومجال علمي واسع ، فلم يكن اختصاصهم في الدين فقط بل تعددت معارفهم إلى علوم أخرى، فاختصاصاتهم كثيرة ومتعددة يجندون حتى في الحركة الموحدية جاء في إحدى الرسائل: "...فعين لهم من كبار الطلبة والحفاظ وأعيان الفقهاء..."[1].

كما اهتم الخلفاء باستقدام عدد كبير من الفقهاء والعلماء إلى مراكش، فالخليفة كان يقدر العلماء ويختار لهم المنازل اللائقة بهم، فقد حضي العلماء بكثير من الثقة في العصر الموحدي لدى الخلفاء وباحترام المجتمع كذلك، مما جعلهم يكلفون ببعض المهام السياسية في مناسبات مختلفة ولكن يجدر الإشارة إلى أن هذه المعاملة لم تكن مع سائر الفقهاء وإنما فقط مع السائرين على نهج الموحدين والباحثين في عقيدتهم . وبعد طبقة الفقهاء تأتي "طبقة القضاة" فهم لهم صلة بالفقهاء إذ يختارون من العلماء ورجال الدين، فهم يشكلون طبقة متميزة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية[2].

العامة:

استعمل الموحدون أثناء مخاطبتهم للمجتمع بكامله مصطلح الكافة بدل العامة، ومن خلال الرسائل يتضح إن هذه الطبقة خاطبها الموحدون بأسماء أخرى مثل: الناس، القبائل، العوام، وهذه الطبقة تشمل رعية الدولة الموحدية أومن لم يكلفهم ابن تومرت بمهام معينة، وقد تكونت هذه الطبقة نتيجة

[1]- المهدي بن تومرت، **أعز ما يُطلب**، تح:عمار طالبي، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش،2007،ص ص:245-262.

[2]- القادري إبراهيم بوتشيش، **الإسلام السري في المغرب العربي** ، القاهرة، سينا للنشر، ط1995،1،ص:164

فوارق المستوى المعيشي، فمستواها ضعيف ودخلها محدود، والعوام في المجتمع الموحدي هم أكثرية الفئات الاجتماعية الذين لتربطهم أية صلة بالسلطة إلا دفع الضرائب والدفاع عن الأرض، فهي أكثر عرضة للأخطار السياسية والكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح البلاد من حين إلى آخر، وكانت وضعيتها في الأرياف أكثر صعوبة، هذه الكوارث الطبيعية والفوارق الاجتماعية أدت إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع الموحدي وهي طبقة المتسولين الذين كانوا يجتمعون بكثرة عند الجوامع، مما يجعل الكثير من المتصوفين يجمعون هؤلاء ويقدمون لهم القمح[1].

العبيد:

عرفت بلاد المغرب أعدادا كبيرة من العبيد، وكانوا يجلبون إلى بلاد المغرب بسبب الحروب خاصة، وأن اسبانيا رفعت راية حركة الاسترداد وأهل المغرب حملوا لواء الجهاد. كان هؤلاء العبيد في مقدمة الجيش الموحدي واستخدموا حتى كخدم داخل المنازل وفي الزراعة، وكحرس خاص في القصور وحراسة الخيول، وهناك العبيد السود الذين تم جلبهم من بلاد السودان وهم أفضل العبيد خدمة وقد استخدموا في الجيش لما تميزوا به من قوة وشجاعة وشدة، ولم يقتصر العبيد في عهد الموحدين على السودان فقط بل استخدموا الأسرى كعبيد وهم من أطلق عليهم بالعبيد البيض. [2]

2-الأوضاع الاقتصادية:

اعتمدت الدولة الموحدية سياسة اقتصادية مكنتها من تحقيق اكتفائها الغذائي بإنتاجها لمختلف المنتوجات الفلاحية،مما جعلها ذات بنية اقتصادية قوية وتحسنت أحوال السكان المعيشية رغم ما شهدته من أزمات طبيعية وسياسية.

[1]- عزاوي أحمد ،**رسائل موحدية**،ج1، القنيطرة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،ط1، 1995، ص:137.

[2]-ابن ابي زرع،الانيس المطرب،ص :154،ابن القطان،نظم الجمان،ص:109

الزراعة:

اعتبر الموحدون الأراضي التي استولوا عليها من المرابطين وحلفائهم أرضا ملكا للدولة، وزادت ملكية الدولة الموحدية على ما كانت عليه في أيام المرابطين بمصادرة أملاك الثائرين عليهم تأديبا. كما كانت الدولة الموحدية تقطع وقواد جندهم الاقطاعات الزراعية كرواتب لهم، إضافة إلى الإقطاع الثاني الذي هو إقطاع منفعة فهو أن للمقطع حق الانتفاع بالأرض وغلتها دون تملكها، أما الملكيات الخاصة فتنقسم إلى ملكيات كبيرة كانت في أيدي أبناء البيت الموحدي وكبار رجال الدولة وقادة الجيش، وملكيات صغيرة يملكها جميع الفلاحين، وهناك تسميات مختلفة لهذا النوع من الأراضي، فالملكيات الكبيرة تسمى"بحيرة أومشجرا مختصا" بزراعة أصناف من الفواكه والخضر والبقول على أنواعها أو تسمى "روضا أو رياضا"، أما الملكيات الصغيرة تسمى "جنة جنان أو جنات".[1]

ولما تم لعبد المؤمن إخضاع افريقية سنة 555هـ/1149م أمر بتقسيم البلاد من برقة شرقا إلى بلاد نول من السوس الأقصى غربا بالفراسخ والأميال عرضا وطولا، وألزم كل قبيلة بربرية كانت أو عربية بقسطها من الزرع والماشية والأموال [2]، وطلب من جميع المزارعين الهاربين من أراضيهم الرجوع إليها للعمل فيها[3]، وقد أدى هذا إلى الرخاء في المغرب كله إلا أن الزراعة تعرضت لأعمال التخريب من حين لآخر نتيجة الثورات[4].

ولم يختلف الوضع في البلاد الأندلسية، حيث شهدت تخريب زروعها خاصة حول قرطبة وغرناطة نتيجة هجمات الممالك النصرانية وحلفائهم بني مردنيش في خلافة عبد المؤمن وبداية عهد يوسف. لكن

[1]- دندش عصمت عبد اللطيف ،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، تونس، دار الغرب الإسلامي ط1، 2008،ص:157-158.

[2]- ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تونس، مطبعة الدولة التونسية،ط1، 1286،ص: 112.

[3]- القادري إبراهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص: 219.

[4]- عز الدين احمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**،بيروت،الشروق،ط1،1989 ،ص:161-162

رغم ذلك إلا أن السياسة الموحدية القائمة على تقسيم الأراضي إلى ملكيات وتوزيعها ساعدت على ازدهار الإنتاج الفلاحي، كما شجعت الفلاحين على الاهتمام بالزراعة وتربية الحيوانات. ولا تقتصر تربية الحيوانات على نوع واحد منها فكثيرا ماتربى الأغنام والخيول والبغال والجمال، وهذا لأن تربية الحيوانات عمل قائم بذاته وكثيرا مايكون متصلا بالزراعة سواء من حيث المناطق أو الأشخاص الذين يقومون بها[1].

وكانت البلاد الشرقية في المغرب كلها مناطق زراعية مزدهرة، فغابة قفصة تحوي الكثير من أشجار الفواكه فكان فيها التفاح، الرمان، البرتقال، الموز والفستق ونجد أزهار الياسمين والنرجس، وكانت بلاد الزاب تزهو أيضا بفواكهها وخاصة الجوز إلى جانب إنتاج قابس للتوت ودودة الحرير والموز...، ونجد قصب السكر بالقيروان والقطن في المسيلة ومستغانم ، وظلت منطقة باجة تتميز عن كل المدن بالقمح، حيث كانت تطعم سكان البلاد جميعا من عرب وبربر وكانت المحاصيل الزراعية بها رخيصة الثمن وبقرب باجة كانت منطقة القل ذات الأرض السوداء الصالحة لزراعة جميع محاصيل الحبوب وكذلك البقول والفول، أما بجاية وجزائر بني مزغنة فكانت هي الأخرى مناطق للقمح والشعير والزيتون...وفي جيجل توجد الأعناب والتفاح[2].

وللحصول على إنتاج زراعي وفير، اعتمد في بلاد المغرب على نظام محكم للري كانت نتائجه وفرة الإنتاج، إذ كانوا يسقون أرضهم باستعمال بعض الوسائل كالساقية حيث يقوم الأهالي بالتعاون فيما بينهم لخدمة الساقية، فقد كان بتلمسان عين مشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم فمنهم

[1]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص: 201

[2]- زغلول سعد ،**تاريخ المغرب العربي** ،ج:1، مصر، المعارف،ط1، 1993،ص: 166-167

من كان يروي أرضه نهارا ومنهم من يرويها ليلا وفئة ثالثة كانت تروي من الغداة إلى الزوال وجماعة أخرى ترو من الزوال إلى العصر[1].

أما في الأندلس كان نظام الري في السهول الساحلية يعتمد على السقي من الوديان حيث يوزعون الماء بواسطة القنوات والساقيات والنفورات، إذ شيد الموحدون نواعير كثيرة وخاصة على نهر اشبيلية ،و يقول أحد طلبتهم أن نهر سبو سهل خروجه للبطاح لسقيها ، ويبدو أن هذه الجهود حفزت همم الناس فجاروا الدولة في جهودها، فكثر اهتمام الناس بالري فشيدوا النواعير وحفروا الآبا ر ولا غرر بعد هذا أن زادت الأراضي المزروعة ولا سيما في البلاد الغربية لأن أكثر هذه الإشارات عنها[2]

الصناعة:

نعني بالصناعة في هذه الدراسة تصنيع الإنتاج الزراعي ، وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها والاستفادة من ذلك كله في متطلبات الإنسان الضرورية والكمالية، ومما شجع الصناعة في ظل الموحدين ازدياد حاجة الدولة للصناعات العسكرية واتساع نطاق المعمار خاصة في البلاد الغربية وامتداد أثر الحضارة الأندلسية إلى جميع الطبقات في البلاد الغربية، حتى أن قصور الخاصة أصبحت مكتفية ذاتيا في كل نواحي الحياة، ومن تم زاد الطلب على أشياء الترف وأدوات الزينة والزخرفة، فأكمل الموحدون مابدأه المرابطون من استجلاب الخبرات الأندلسية الصناعية إلى البلاد المغربية في مختلف الصنائع[3].

ولقد تعددت الصناعات في بلاد الموحدين كالصناعة النسيجية، حيث تفردت الأندلس بصناعة المنسوجات الحريرية وتفردت مالقة بصناعة الحرير، وانتشرت عادة لبس الحرير حتى اضطر المنصور إلى

[1]- الإدريسي أحمد بن محمد الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1863، ص:81.

[2]- كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي**، الإسكندرية، باب الجامعة ،1994،ص: 59.

[3]- التلمساني أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،ج:3، بيروت،الفكر،ط1،162 ،ص: 153.

الأمر بقطع اللباس الغالي [1].كما اتصلت بصناعة المنسوجات "صناعة الورق" فقد كان يصنع من القطن والكتان في المغرب، وأغلب الظن قد صنع في البلاد الأندلسية، وقد ظهرت في العصر الموحدي مراكز جديدة لصناعته مثل بلنسية في البلاد الأندلسية وسبتة [2] وفاس في البلاد المغربية. وقد كان في فاس وحدها أيام المنصور[3] أربع مائة بيت متخذة لصناعة الورق، وخير ما يصور جودة الإنتاج في العصر الموحدي ما يرويه المقري من أن احد المغاربة كتب إلى الكامل الأيوبي "رقعة في ورقة بيضاء، إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبرا أسودا"[4]. وقد أدى هذا إلى اهتمام الموحدين بالكتب إذ انشأ يوسف خزانة علمية واهتم بجمع الكتب إليها من جميع المغرب واستمرت هذه الخزانة طوال العصر الموحدي وقد أولى هذا العناية بالكتب نسخا وشكلا كانت المصاحف أكثر ما ينسخ.

كما اشتهرت الصناعة الجلدية في العصر الموحدي وظهرت مالقة كمركز أساسي لصناعة الحزم والمدورات الجلدية، وفي البلاد الغربية كانت تلمسان [5] مركز المصنوعات الجلدية التي يتجهز بها الفارس، كما كانوا يقومون بصباغة النسيج والصناعات الجليدية، ومن مواد الصباغ النيلة، القرمز والزعفران، وكان عادة ما يصبغ الحرير في موضع إنتاجه وكان الأندلسيون يتخذون من ذلك عيدا [6]. وانتشرت أيضا "الصناعات الخشبية" وظهرت مناطق جديدة لإنتاجها وبالجودة والكثرة، وقد اضطرت الضرورات العسكرية الموحدين لإقامة الجسور في أودية السهول الغربية وبناء السفن، ولعل خير ما يصور تطور

[1]– عز الدين موسى،ا لمرجع السابق، ص 223.

[2]– مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر مقابلة للجزيرة الخضراء، الإدريسي، المصدر السابق، ص: 249.

[3]– **يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن**: ولد سنة 554هـ، تولى الخلافة وعمره واحد وأربعين سنة، دامت خلافته أربع عشر عاما، وحدثت في عهده موقعة الأرك الشهيرة سنة 591هـ ،عرف العمران والعلم في عهده ازدهارا كبيرا، توفي سنة 595هـ. ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ص: 234.

[4]–التلمساني أحمد المقري ،المصدر السابق،ج4،ص:326-327.

[5]–مدينة شهيرة بالمغرب الأوسط ،كانت دار مملكة بني عبد الواد،انظر: الإدريسي، المصدر السابق،ص:250.

[6]–التلمساني أحمد المقري، المصدر السابق،ج1،ص:178.

الصناعة الخشبية أن التحف كانت تصنع بقصد الملاعب للأعياد مثل الزرافات وما يشبهها، أو بغرض الزينة في القصور[1].

وفي العصر الموحدي استفادوا من المعارف الميكانيكية في الصناعات الخشبية، وعلى ذلك ثلاثة شواهد، أولا: كان باب منبر جامع عبد المؤمن في مراكش يفتح من تلقائه متى صعد إليه الخطيب. ثانيا: أن مقصورة الجامع ذاته كانت تسع ألف شخص وتتحرك بواسطة عجلات ثبتت في أسفلها ولها ستة جوانب تمت بواسطة مفاصل متحركة، وتتحرك العجلات وتمتد المفاصل في وقت واحد، ولا يترتب على ذلك اقل صوت وتبدأ الحركة تلقائيا متى دخل الخليفة الجامع فتتحرك المقصورة ويخرج من داخلها المنبر الذي جعل فيها مستورا. وثالثا: وضع كرسي وتركب المصحف عليه تلقائيا ويظل الكرسي بما حمل يتحرك جيئة وذهابا وإذا رجع إلى موضعه ينغلق الباب تلقائيا[2].

وخلال الفترة الموحدية انتقل التعدين من جهات قرطبة إلى جنوب البلاد الأندلسية وشرقها، فاستثمر ذهب وادي حدرو في وسط غرناطة والحديد قرب اشبيلية، كما استخرج الرصاص قرب المرية واتسع نطاق استخراج المعادن في الفترة الموحدية في البلاد الغربية وكثرت معادنها، وكانت الفضة تستخرج من معدن عوام قرب فاس واستثمرت معادن النحاس في السوس[3] ومعادن الحديد على الطريق بين سبتة ووهران، وهناك ثلاث مواد غير معدنية كانت تستثمر هي المرجان والعنبر والملح، وقد اختصت سبتة بالمرجان واستخرج العنبر في الشواطئ المغربية ، وأما الملح فقد كان يؤخذ من ملاحة قرب فاس واستخرج الشب في العصر الموحدي في السوس.

[1]-عز الدين موسى، المرجع السابق،ص:234.

[2]-عز الدين موسى، المرجع السابق،ص:235.

[3]- **السوس**:إقليم أقصى المغرب يشتمل على مدن وقرى كثيرة، يقع أكثرها على نهر درعة وماسة، وأهلها أخلاط من البربر المصامدة ، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق،ص:208

ومما سبق يتضح أن المغرب قد عرف إنتاج ا كثيرا للفضة في العصر الموحدي و أن المعادن والمواد غير المعدنية تركزت في ساحل تل الأطلس الشرقي وجنوب البلاد الأندلسية وغربها، وكانت بجاية مدينة الصناعات المعدنية وتأكد وضعها هذا أيام الموحدين مع مشاركة تونس لها في إنتاج المصنوعات المعدنية، وتميزت اشبيلية بصناعة الأسلحة وبالدروع، وبدأت البلاد الغربية تأخذ نصيبها من هذه الصناعات مع تخصيص كل جهة في نوع منها، وقد بلغت هذه الصناعات كامل ازدهارها في العصر الموحدي. وهناك صناعات أخرى كالصناعات الفخارية، الزجاجية، المعمارية وصناعات السكر والزيوت والصابون وآلات الموسيقى وصناعة الخمور[1]

التجارة:

انتعشت التجارة الداخلية في عهد الموحدين ، وهناك عدة عوامل ازدهر بفعلها العمل التجاري الداخلي منها "إشاعة الأمن" و"اهتمام الخلفاء بتامين الطرق التجارية وحماية التجار " وتوعد عبد المؤمن "بقتل كل من يخالف هذا الأمر وانزل العقوبات بالذين يتسببون بالاعتداء على التجارة أو قطع الطرق التي لهم ، وسار خلفاؤه على نهجه، حيث قطع عبد المؤمن المغارم والمكوس والقبالات التي وجدوها، مما ينشط حركة البيع والشراء بالبلاد، كما أن ولاة الأمر وفروا سبيل الإقامة للتجار بإنشائهم عدة فنادق لإيواء التجار وخزن السلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة[2].

كما كانت الدولة الموحدية تعوض التجار عما يفقدونه في كارثة عامة وأقرضت الدولة طلبة الحضر أموالا يتاجرون بها ثم يردون السلف، وكانت تبني الأسواق إن احترقت أو تقيم غيرها إذا اتسعت المدينة أو عندما تبني مدينة جديدة وأيضا مهد الموحدون الطرق في جميع أنحاء دولتهم ببناء الجسور

[1]- عز الدين موسى، المرجع السابق،ص:250.

[2]- حداد مزوزية، المرجع السابق، ص: 193-194.

وتشييد المنازل وتجهيز الصهاريج توفيرا للماء، وإذا كان تمهيد هذه الطرق يتم للاستعمال العسكري، فإن التجار يسلكون هذه الطرق ذاتها ولهذا تجد الموحدين يمنعون السفار من سلوكها إذا أرا د الموحدون القيام بعمل عسكري[1]. وكانت الأسواق منتظمة في المدن المغربية حيث انفردت كل صناعة بناحية معينة من السوق كسوق النحاسين وسوق الفاكهة وسوق الزياتين وكانت لهذه الأسواق أيام معلومة لكي يتجه إليها السكان بسلعهم وشراء ما يلزمهم من الحاجيات[2].

وبقدر ما كان الاهتمام بالتجارة الداخلية وتطويرها عند الموحدين، كان الاهتمام بالتجارة الخارجية التي نشطت حيث اجتهدوا ووضعوا لها أنظمة تضبطها، وعقدوا من أجلها المعاهدات مع أغلب المدن الأوروبية الساحلية خلال القرن السادس للهجرة وما بعده، حيث عرفت أوروبا انتعاشا اقتصاديا عن طريق التجارة مع المغرب، كما تبادلوا التجارة مع إفريقيا التي كانت قد تكونت على شكل ممالك كبيرة انتشر فيها الإسلام بفضل هذه الرحلات التجارية[3].

يتضح مما سبق أن السياسة الزراعية الموحدية القائمة على تقسيم الملكية وتنظيم الري، ساعدت على إنتاج محاصيل زراعية مختلفة ومتنوعة، وارتبطت بالصناعة ارتباطا وثيقا، مما شكل أسواقا ساعدت على نشاط التجارة الداخلية، حيث سطرت لها سياسة محكمة لتسييرها بتعيينهم من يشرف عليها.

[1]- البيذق ،المصدر السابق، ص: 113.

[2]-حسن علي حسن، المرجع السابق،ص:273

[3]-عز الدين موسى، المرجع السابق،ص:273-274.

الفصل الثاني

الانحرافات الاجتماعية في المغرب والأندلس وموقف الموحدين منها

المبحث الأول: الانحرافات الاجتماعية في المغرب.

إن التّمسك بالأخلاق في مسألة البناء الاجتماعي يحقق الديمومة والاستمرارية للمجتمع، فإذا خرج المجتمع عن ضوابطه فهي بداية نحو الفساد والسقوط والفوضى الاجتماعية، وهو حال المغرب الذي شهد العديد من الانحرافات الاجتماعية والمظاهر اللاأخلاقية خلال عصر الموحدين، سنحاول ذكر بعضها:

1-1- معاقرة الخمور:

كانت عادة شرب الخمر منتشرة في المجتمع المغربي ولم تقتصر على الرجال بل شملت حتى النساء، وهو ما صوره المراكشي في قوله: "واستولى النساء على الأموال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور [1].

وكما أشرنا في الفصل الأول أن المجتمع الموحدي كان يقوم بصنع الخمر من مختلف الفواكه ويصنعونه في المنازل كمشروب آنزير الذي يقول عنه الإدريسي أنه حلو يسكر سكرا عظيما ، لكن الموحدون وعلى رأسهم ابن تومرت عملوا على محاربة المنكرات منذ البداية وحاربوا الخم ر، فأوضح أن الخمور تباع جهارا ونهارا[2]. ولهذا أفتى بوجوب إراقة كل المسكرات ومنع صنعها داخل المنازل وفي كل مكان، وقد جاء ذلك في رسالة الفصول " وأمر في النظر في الربوب، وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمني شربها ومستعمليها، فيراق مسكرها ويقطع منكرها". ويذكر أن ابن تومرت لما دخل بجاية [3] ووصل

1-النجار عبد المجيد، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، فرجينيا، المعهد العالي للفكر الاصلاحي،1995،ص:87

2- الصلابي علي محمد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، لبنان، المعرفة، ط3، 2009، ص:268

3-مدينة بالمغرب الأوسط عامرة بالتجار والصناع وعامرة بسكان الاندلس، تبعد عن سطيف بمسيرة ثمانية أيام، انظر: الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،1863،ص:265.

باب البحر أهرق به الخمر وقال: "المؤمن تمار والكافر خمار، فقالوا له من أمرك بالحسبة [1]، فقال: "الله ورسوله"[2].

ولكن في طور الدول احلوا الرب المصنوع من العنب، وكان الخلفاء وخاصة الخليفة يوسف أبي يعقوب يقدمونه في الاحتفالات الرسمية ويجرون منه انهارا، وفتح ذلك بابا للشرب بين السادة من بني عبد المؤمن وعامة الناس حتى اضطر المنصور لقطعه، فأريقت من الخمر أموال جمة وقد كانت للرب أسواق ومن مراكز الانتشار المشهورة في القرن السادس جيجل في البلاد الشرقية، ومراكش وفاس والسوس في البلاد الغربية[3].

ولما ارتحل المهدي إلى مدينة مراكش [4] بدأ يمشي في أسواقها وشوارعها وكان معه عبد المؤمن في خدمته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويريق الخمر ويكسر آلات الطرب [5].كما ويعتبر الخليفة المنصور من أشد الخلفاء محاربة لكل ما هو محرم، فقد أصدر الإنذارات بإراقة المسكرات وقطعها وحذر الموت على استعمالها، وحرم مشروب الرب بشكل نهائي لما فيه من الشبهات والملابسات، حيث أن بعض أفراد الرعية اتخذوه كمادة مسكرة بزيادة تخميره وتساهلوا فيه، فأمرهم المنصور بالتشدّد في هذا الأمر والمعاقبة عليه بأشد أنواع العقوبة وذلك من باب سدِّ الذرائع، مستندا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات استبرأ

---

[1]-الحسبة:وظيفة دينية اختصت في باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكرويشترط في المحتسب أن يكون متفقها وعالما بأحكام الشرع،كما يجب أن يكون حرا عادلا صارما في الدين،انظر: محمد عبد الله عبد الله،**ولاية الحسبة في الاسلام**،االكويت،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،ط1 ، 1998،ص57 .

[2]-حداد مزوزية، المرجع السابق، ص:180.

[3]-البيذق ، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط، المنصور للطباعة والوراقة،1971،ص:14

[4]-مدينة عظيمة أسسها يوسف بن تشفين سنة 459هـ-1067م، تقع على بعد ثلاثة أميال من وادي تانسيفت، وهي مدينة كثيرة المزارع، انظر: الادريسي، المصدر السابق،ص:303.

[5]- ابن أبي زرع ، **روض القرطاس** ،الرباط، صور للطباعة والوراقة،ط2، 1972،ص: 109.

لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا أن لكل ملك حمى و أن حمى الله محارمه"[1]، وبعد مدة من تشديده بإبطال الخمر طلب من أبي جعفر بن الغزال-صانع الأدوية المركبة والمعاجين-جمع متطلبات الترياق الكبير وتركيبه، فامتثل أمرَه وجمع متطلباته واحتاج الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق، فأمره المنصور بالبحث عنه من كل ناحية لعله يكون عند أحد منه ولو بشيء يسير لإكمال الترياق، فتطلبه أبو جعفر من كل أحد ولم يجد شيئا منه، فقال المنصور والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا.

وهنا قام الخلفاء بواسطة أمناء بمحاربة الخمور والتمييز بين الرُبِّ الحلال والرُبِّ الحرام: "...والله البحث عن الخمور، فإنها مفتاح الشرور وراس الكبائر، مستندين إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر "، وأضافوا:"...خذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشأنها واجتهدوا في إراقتها وكسر دناها...ولا يكن منهم من يفرق بين الحلال والحرام ويميز... ". وفي خطاب لأبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن [2] قال: "فان تجاوزوا في أمر الرب...اغفلوا فيه الاجتهاد...وحاول اتخاذه وبيعه من لا يتوقف على احترام رأينا... إن قطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لديهم وأجدر...ولا توجدوا أحدا إلى بيعه سبيلا واشتدوا في ذلك اشتدادا...واخلوا الحوانيت التي كان يباع فيها منه وأفقروها...والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها وأريقوا ما تلقون من مشتبه وملتبسة، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة...وحتى وجدتم عندهم رائحة منه كائنا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشَرع..."[3].

---

[1]-ابن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، تح: ماهر ياسين الفحل ، دمشق، بن الكثير للطباعة والنشر،ط1، 2008،ص:172.

[2]-هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، تولى أمر الموحدين بعد وفاة أبيه، له مشاركة في الأدب والعلم واتساع اللغة، انظر: المراكشي، المصدر السابق، ص:174

[3]-حداد مزوزية ، المرجع السابق،ص:181 -182

1-2-الانحلال الأخلاقي والفساد:

انتشر انحلال الأخلاق والفساد في المجتمع حيث شاعت بين الناس الملاهي والاجتماع على سير الجاهلية من الملاهي على فنونها وأنواعها وضروبها واختلاف آلاتها، وما يتبعها من المناكر الناشئة على أهل الجهالة والأفعال المنافية للشريعة الصادرة بين أهل الضلالة من الرجال المفسدين والغواة المضلين ومن النساء المفتنات في طرق الغوايات، وسنفصل ذلك فيما يلي:

1-2-1-الاختلاط:

ما يقصد به هنا بالاختلاط وهو اختلاط النساء بالرجال في كثير من المواضع كالأعراس أو عند الأنهار أو في الجنائز، وفي كثير من الأحيان هذا الاختلاط ينجر ع نه انحلال خلقي. فعندما دخل المهدي تلمسان وجد بها عروسا تزف لبعلها وهي راكبة على سرج واللهو والمنكر أمامها، فكسر الدفوف وغير المنكر وأنزلها عن السرج[1].

أما في دشرة أمليل سمع صراخ الرجال والنساء، فقال: "غيروا هذا المنكر" وأمرهم بالمعروف...فقام اثنان من طلبة المهدي بن تومرت ووصلا إليهم وقالا لهم: "قد حرم اللهو والمنكر لأنه من أفعال الجاهلية وما كفى أن الرجال والنساء معا لا فرق بينهم؟"، فردوا عليهم: "هكذا السيرة عندنا"، فأمرهم بالمعروف فلم يسمعوا لهم ونهوهم ولم ينتهوا عن المنكر، وقد قالا لهم: "يأمركم الفقيه بالمعروف"،فقالوا لهم: "معروفنا عندنا ومعروفكم عندكم"، ولما علم المهدي بن تومرت بردهم، قال: "يا أبا بكر جهز الدابة وألق عليها الكتب وسيروا عنهم لئلا يصيبهم بلاء فلا يصيبنا معهم"[2].كما نظر إلى النساء يستقين والرجال يتوضؤون، فقال: "أليس هذا منكرا النساء مع الرجال مخلوطين، اصنعوا لنا ساقية وصهريجا عند الجامع"، ففعل ذلك وكان الغرض منه تجنب الاختلاط[3].

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص:20

[2]- المصدر نفسه، ص: 21.

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص:21.

1-2-2-انتشار وسائل اللهو والمجون

حاول الموحدون محاربة كل ما يؤدي إلى ظاهرة الانحلال الخلقي ومظاهر الفساد في المجتمع الموحدي، فمثلا فيما يخص وسائل التسلية من دفوف وطبول وغيرها من الآلات الموسيقية وما يترتب عنها من لهو ومجون وفسق، فقد أمر ابن تومرت عند دخوله فاس أتباعه: "أخرجوا واقطعوا مقارع من شجر التين الذي أسفل الوادي الذي لاينتفع به، وأقبلوا في سرعة...حتى وصلنا زقاق بزفالة قال لنا تفرقوا في الحوانيت، وكانت الحوانيت مملوءة دفوفا وقراقر ومزامير وعيدانا وأربيه وكيتارات وجميع اللهو ، فقال لنا ابن تومرت: "اكسروا ما وجدتم من اللهو "، فقام أربابها بالصراخ وساروا شاكين نحو قاضيهم ، فقال:" لهم لولا ما رأى في السنة ما كسرها ومزقها، مروا فإنكم مخالفون للحق"[1].

وأمر الخليفة عبد المؤمن بالكشف عن أصحاب الهوى وما يقومون به ومحاربتهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله في قوله: "فاكشفوا عن هذه الأصناف وأثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيح سالمة من الهوى والظن باستصحاب حاله، وتماديه على الإحضار في محل باطله ومحاله فيحكم كتاب الله جل اسمه وإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وعندما بويع المنصور بالخلافة رأى انهماك الناس بالشهوات وتوسع سوق الجواري والمغنيات مع المجاهرة والاستهتار بما حرم الله، فغضب لله وأصدر الإنذارات، وأرسل في ذلك الفرامانات إلى سائر ولاته بالأمصار، حيث أمر صاحب الشرطة بالقبض على المغنيين وأصحاب الملاهي، فتفرقوا في الأوطان

[1]- المصدر نفسه، ص: 23-24

وبارت سوقهم، وكان زاهدا في هذا الأمر[1]. وهكذا لعبت المبادئ الدينية التي قامت عليها الدولة في محاربة المغنيين[2]

إن هذه الظاهرة سايرت الدولة الموحدية حتى في عهد الخلفاء الضعاف، فالمستنصر حاربها في عهده بقوله: "كان أهل الدعارة والفساد قد اجتمعت منهم جماعات فعانت أياما في هذه الجهات، فأنفذ العبد جملة من الأجناد في طلبهم وخاطب أهل الجهات بالخروج من كل مكان إليهم بالتعاون عليهم حتى فلاق الله جموعهم وشتت شملهم"[3].

1-2-3-الإسراف في اللباس والتزين:

بالنسبة للنساء في المغرب، فقد أشارت النوازل إلى ثياب الحرير والكتان والقطيفة، ولكن يلبسن في أقدامهن الجوارب والخفاف، وشاعت لدى نساء المغرب لبس النعال أو الخفاف التي تحدث صوتا أثناء المشي مما يجذب انتباه الرجال إليهن [4]. وعند دخول ابن تومرت صاء –تاوريت حاليا- نظر النساء مزينات محليات يبعن اللبن فغطى ابن تومرت وجهه حتى جازهن، ثم قال: "كيف تترك النساء محليات مزينات كأنهن قد زففن لبعولتهن، أما تتقون الله في تغيير المنكر، لا سبيل لهم لما يصنعون فإنما يصنعون أفعال الجاهلية الأولى وإنما يخالفون الله في أفعالهم "، وع ليه اعتبروا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلمُؤْمنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَاظَهَرَ مِنْهاَ﴾ [5]فغير المنكر وأمر

---

[1]- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)**. تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت، الغرب الإسلامي، ط1، 1406هـ/1985م، ص:172-173

[2]- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ، مصر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط 1، 1980، ص:432.

[3]- حداد مزوزية، المرجع السابق، ص:181.

[4]- كمال أبومصطفى، المرجع السابق، ص: 47.

[5]- سورة: النور، الآية: 31 .

بالمعروف[1]. ولما دخل بجاية نزل بمسجد الريحانة، وكان ينهي الناس عن الأقراق الزرارية وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحيات ويقول لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام. وقد أشارت بعض الرسائل الموحدية إلى أن النساء المغربيات يخضبن بالحناء بطون الأكف وظهور السواعد، فأمرهم بتغطية ما يبدي زينتهن وأن تكون هذه العادة لأزواجهن[2].

1-3- السحر والشعوذة والتبرك:

ساد في أوساط المجتمع المغربي خلال عهد الموحدين ممارسات مخالفة للشرع كالسحر والشعوذة والاعتقاد بالجن والتبرك بالصُلحاء وانتشرت بينهم ظاهرة التنبؤ بالغيب، ولعل من بين المعتقدات الذهنية التي انتشرت بين أوساط العامة ظاهرة التبرك والتمسح ببركات الأولياء الصالحين، وظل قبر المهدي بن تومرت مزارا من طرف سكان المغرب وخاصة العامة [3]. وهذا بعدما أوصى بدفنه على قارعة الطريق ليترحم عليه كل من يمر به. وأما الشعوذة فقد شكلت حرفة لها نظمها وتقاليدها، منهم من كان يظهر في زيّ يموه على العامة بحيله ومهاراته، ومنهم من تظاهر بالسحر والتكهن ومعرفة الغيب حتى يصل إلى جيوب المغفلين وبعض النساء اللواتي يردن كسب محبة أزواجهن وليس الغريب أن تنتشر وسط هذه البيئة[4].

وقد أشارت بعض المراجع إلى أن التفاوت الطبقي بالمغرب خلال عصر المرابطين أدى إلى انتشار هذه الظاهرة وجعل العامة تلجأ إلى الفكر الغيبي للتعبير عن طموحاتها وأمانيها وتؤسس عالما خياليا تختزن فيه كل توجهاتها وتطلعاتها ، كما أشارت ذات المراجع إلى أن ظاهرة السِّحر والشعوذة في عهد الموحدين ترتبط بالفقر والقهر الاقتصادي والاجتماعي والواقع السياسي المتصف باستبداد السلطة

---

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص:21.

[2]- حداد مزوزية، المرجع السابق، ص: 182.

[3]- المرجع نفسه، ص: 185.

[4]- بن خيرة رقية، **الآفات الاجتماعية في الأندلس مابين القرنين (5هـ-6هـ/11م-12م) -دراسة في ظاهرة الانحراف-** . أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، غير منشورة، اش: بلبشير عمر، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2017/2016م، ص ص: 110 -111.

الحاكمة يعني أنها كانت وسيلة للترويح عن النفس. كما أن الفساد الأخلاقي الذي انتشر قد أوصل منتحلي هذه الحرفة إلى حد الإيقاع بالنساء في براثن الفساد والفسق بدعوى أن الجني استقر في جوف المرأة المغرر بها ، ولابد من طقوس خاصة تمارسها بمعية الساحرات الماجنات حتى تشفى من علتها.

وقد تطلع في عصر الموحدين بعض من عرف عنهم السحر إلى الزعامة المحلية رغم تبني معظم المغاربة المذهب السني الذي تتبناه الدولة والمعروف عنه تحريم السحر مثل الجزيري [1].

كما أسهمت الأزمات الطبيعية التي تعرضت إليها بلاد المغرب في عهد الموحدين بقسط كبير في التأثير على سلوكيات وذهنيات الإنسان المغربي، مما دفعه للجوء إلى البدع والخرافات والمحرمات لتفسير تلك الظواهر، فصدق كلام المنجمين حول حدوث الأزمات وما نتج عنها ، وهذا ما يؤكد غياب عقلية النقد للأخبار الزائفة، لأنهم أوهموا الناس أن الاضطرابات المناخية تطهر الأرض من الدنس، لذا اعتبرها من علامات الساعة والبعث، فأهالي نفزاوة اعتقدوا أن الرياح والزوابع الجوية كانت بسبب تكسير احد طلاسمها المدفونة على حد قول التيجاني [2]، والأكثر تصديقا لهذه الخرافات العامة لعدم وعيهم وتقبلهم أي فكرة.

ومارس سكان غمارة بشمال المغرب الدجل المؤدي للنوم العميق مدة ثلاثة أيام وباستفاقتهم يخبرون الناس بما يحدث في العام من خصب أو قحط واتخذوا عام 637هـ/1239م سنة مناسبة للتأريخ سموها بعام سبعة[3]. ومن الممارسات الخرافية أن تجلس جارية حسناء مقابل الينبوع وتزمر بالناي مدة ثلاث ساعات وأخرى تطبل لزيادة منسوب الماء، كما اشتهر ما يسمى بخط الرمل وهي نوع من

---

[1]- **علي بن محمد بنرزين الجزيري** نسبة إلى الجزيرة الخضراء ويعرف بالمتمرد اذ تمرد على الخليفة المنصور واشتهر بالدجل وتم حبسه في مراكش لكنه تمكن من الفرار إلى فاس ومن ثمة إلى الأندلس وبسبب إفلاته المستمر من المكامن التي كان يدبرها ضده الموحدون، شاع بين الناس أنه يتحول عند وجوده في أزق إلى حيوان، ينظر: امبروسيو هويثي ميراندا، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**. تر: عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، الرباط، 2004، ص: 195.

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج:3، ص: 62.

[3]- ابن الخطيب لسان الدين، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**. ج: 2، تح: أحمد مختار العبادي، المغرب، دار النشر المغربية، 1985، ص: 55.

أنواع الدجل، وفي رواية المراكشي عبد الواحد ، يقول: "...إن المهدي بن تومرت اعلم أهل المغرب بخط الرمل[1] ، وهذه كانت إشارة إلى أن المهدي بن تومرت أول ما دخل إلى بلاد المغرب الإسلامي قد اعتمد على أساليب في الحديث تشير انه كان يعتمد على التكهن وادعائه معرفة الغيب مستغلا حب المغاربة لآل البيت، ففي عام 516هـ/1115م قام ابن تومرت بخدعة استخدم فيها الدجل والشعوذة وتعرف تاريخيا بحادثة التمييز أي تمييز الصالح من غير الصالح وذلك بتصفية جسدية شنيعة فكان مصير غير الصالح في نظر ابن تومرت القتل، وبهذا صفى له أمر الجماعة تماما حتى يحقق أهدافه السياسية، وقد تبعه الخلفاء من بعده في الاستعانة بالمنجمين والمشعوذين أوقات الحروب ، وفي تولي الحكم ومن بينهم عبد المؤمن بن علي[2].

و لا شك أن البدع والضلالات تقود إلى الخزعبلات والأساطير فتجلب على الأمة الهزائم والويلات، فتنسى الأمة الأخذ بأسباب القوة والعلم لركونها إلى الأوهام والجهل، بل إن الأمر يكون أكثر من ذلك فيتحول إلى فتن وقلاقل تثبر العامة وتحرفهم عن منهج الله القويم . ففي سنة 586هـ/1185م ثار رجل دجال يسمى علي بن محمد بن رزين الجزيري الثائر على المنصور حيث أخذ ينشر الضلالات والفساد أمام الناس بعدما طرده المنصور من مراكش، حتى ظن الناس أنه يتصور في صورة حيوانات، وانتشر ذلك بين العوام وأخذ يتنقل بين المدن والقرى بشعوذته ودجله، وأمر الوالي أبو الحسن بن أبي حفص بمطاردته والبحث عنه، فكان يقبض على أتباعه فيقتلون أو يسجنون، حتى قبض على الجزيري الدجال بمالقة، لكن القاضي الوائي[3] أطلقه برشوة بلغت ألف دينار، فلما علم

[1]-من العلوم الباطنية يزعم أصحابها أنهم يستنبطون فيها أخبار الغيب ومستقبل الأحداث، انظر: ابن خلدون، **المقدمة**، بيروت، الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،1986، ص411.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص: 351.

[3]- **أبو العباس أحمد بن علي بن أبي غالب العبدري** : مشتهر بالداني، ورد أنه ولدفي النصف الاول من القرن السابع الهجري/القرن 13م،وتوفي بعد 678هـ/1279م تولى قضاء مالقة وامتحن في قصة الجزيري الثائر. ينظر: البيذق، المصدر السابق، ص: 351.

المنصور أمر بضرب القاضي على عدد الدنانير التي أخذها ثم تم القبض على الدجال في مرسية [1]، وسيق إلى إشبيلية، فأخذ ينكر أفكاره ونظرياته الثورية أمام حضرة مجلس الموحدين، فعذب ثم أعدم وصلب[2].

1-4- الحرابة (السرقة) والتسول:

تشير بعض المصادر إلى انتشار ظاهرة السرقة في عصر الموحدين بالمغرب، وذلك انه لما دخل المهدي بن تومرت قسنطينة[3] نزل بها عند الفقيه عبد الرحمن الميلي ويحي بن القاسم...فلما كان في بعض الأيام سمع صوت مناد وهو ينادي: هذا جزاء الحلال[4]، فقال ابن تومرت: "ما هذا النداء؟"، فقالوا له: "هذا حلال يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم"، فقال: "ليس عليه سياط، إنما عليه القتل ولكن يجزيه ذلك الضرب"، فبينما هم كذلك إذ سمع مناديا ينادي هذا جزاء أهل السرقة، فقال:"يا قوم تركتم الشَّرع، إنما يجب عليه قطع اليد"، فقالوا له: "يا فقيه فما نصنع به؟"، فقال لهم: "إنما هذا الضرب يقوم له مقام قطع اليد بجهلكم لأنه لا يجوز جمع حدين في ذنب واحد "، ثم قال للسارق: "تب". فقال: "يا فقيه أنا تائب لله تعالى بقلب صادق "، فتاب على يد الإمام المهدي، وعلمه من شروط التوبة، وبينها له، ثم قال لنا الإمام المهدي: "لتأخذوا على أنفسكم غدا إن شاء الله"[5].

وقد أسهمت الأزمات الطبيعية المتلاحقة في مجال المغرب في ظهور سلوكات السطو والحرابة خلال مراحل حرجة في حياة المجتمع زمن القحط والمجاعات، متخذة طابعا أكثر حدة، كما كانت ظاهرة التسول منتشرة نظرا للحال المعاش هناك تعرضت ممتلكات الأولياء لأعمال السطو والحرابة مما أجبر

---

[1]- **مرسية:** سميت تدمير و أوريولة ، مدينة أندلسية قديمة حصينة تقع على ساحل خليج بحر الروم كانت قاعدة للأندلس بها مرسى ترسى بها المراكب الكبار والصغار .ينظر: الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص : 194 .ابن عذاري، المصدر السابق،ص:17

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق، ج: 3، ص: 207.

[3]- مدينة بالمغرب الأوسط، يحيط بها الواد من جميع جهاتها، انظر: الإدريسي، المصدر السابق،ص265.

[4]- الحلال في عربية المغرب القديمة السارق. البيذق، المصدر السابق،ص:12

[5]- البيذق، المصدر السابق، ص: 12.

الناس على بيع ممتلكاتهم ولو بأثمان زهيدة م قابل الحصول على الغداء، و انتشرت عملية السلب إثر حريق قيسارية مراكش سنة 607هـ/1210م فعرضت بضائع التجار وأمتعتهم للنهب لما انشغل الناس بإطفاء الحريق، وتسلل اللصوص من كل طريق [1].كما عرفت سنة 630هـ/1232م فترات متلاحقة من الجفاف نتج عنها مجاعات حادة فخرج الضعفاء يتسولون على الأبواب فكثروا في البلاد وضاقت بهم الأرض، كما كان أحد المتصوفة أن هذا الأخير جمع كافة الفقراء والمتسولين بجامع علي بن يوسف ووزع عليهم ما كان عنده من قمح وسمن.[2]

وقد اعتاد المتسولون على ارتياد الطرقات والأسواق وسؤال الناس حاجتهم ودليل ذلك ما عرف عن احد المتصوفة الذي كان عطوفا محسنا إلى المساكين فيجلس في الأسواق والطرق يحض الناس على الصداقة ثم يفرق ما جمعه على المساكين، وهناك من المتسولين من لجأ إلى أبواب المنازل للتسول. كما نجدهم يستغلون المواسم والأعياد الدينية لكسب عطف الشخص لما لهذه الأيام من قدسية لدى المسلم، والاعتماد على الصياح لجلب انتباه وعطف الناس وعلى الشكوى القائمة على وصف حالتهم وصفا مزريا قائما على المرض والفقر وكثرة العيال. ومن الطرافة أن بعض المتسولين كانوا يقومون بجولات في الطرقات وينشدون مقاطع من الأغنيات الشعبية كسبا لعطف ورحمة المارة.[3]

1 -5-اختطاف وبيع النساء

شهد العصر الموحدي ظاهرة خطف النساء والأطفال التي وجد فيها بعض أشياخ الموحدين وطلبتهم تجارة رابحة، فباعوا النساء دون استبراء وكان بيعهن من طرف بعض تجار الرقيق الذي ن لا يلتزمون بأحكام الشرع، ولما علم الخليفة عبد المؤمن بعد ذلك أمر بعدم بيع النساء سواء كانت حرة أو من السبايا دون استبراء ولا يتولى بيعهن إلا من اتصف بالدين والأمانة وأمر بالتوقف عن بيعهن في جميع

[1]- ابن الخطيب، ج:2،ص: 62.

[2]-حداد مزوزية،المرجع السابق،ص:194-195

[3]- حداد مزوزية، المرجع السابق ،ص: 179.

ما يغنمن منهن حتى يخاطب بأصل أمرهن وكيفيته[1]. وهذا في رسالة سنة543هـ/1148م تشير إلى هذا الخطأ قال فيها: "وإنه أعلمنا بأن من يرضى تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ولا يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء ويبعث في ذلك بكل على الله تعالى واجتراء ولا يتحفظ من مواقع الزّنا المحض ومخالفة الواجب مع الفرض "، وقد بين الخليفة علاج ذلك بقوله : "فلا سبيل لأحد من هنالك أن يبتاع شيئا منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع...وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع ما يغتنمونه منهن في تلك الأرجاء حتى تخاطبون بأصل أمرهن وكيفيته، وتعلمونا من ذلك بحيلته لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ويجري إليه اقتصادكم[2] وقد اشتهر المنصور الموحدي بإنصافه للمرأة ويقف لها وللضعيف ويأخذ لهم حقهم، ومن هنا يتضح أن المرأة تمتعت بمكانة طيبة ونالت التقدير والاحترام من ولاة المغرب.[3]

2-المبحث الثاني: الانحرافات الاجتماعيّة في الأندلس .

تعددت مظاهر الانحراف في المجتمع الأندلسي منذ عصر الطوائف والمرابطين وامتدت إلى عصر الموحدين، بحيث اتخذت أشكالا وأنماطا مختلفة إلى درجة تعذر فيها حصرها جميعا، ولكن سنذكر بعضها متجاوزين بذلك عثرة الكمية والتعددية، ومن هذه المظاهر نذكر:

2-1-معاقرة الخمور:

لا يخفى على المتصفح للتاريخ الاجتماعي للأندلس بأن المجتمع الأندلسي عرف انتشارا واسعا لظاهرة شرب الخمر والمتاجرة فيه على الرغم من اعتبارها من المحرمات، فقد كان شرب الخمر في نهر اشبيلية يتم جهارا ودون رقيب أو حسيب واشتهر أهل برشانة بشربها كذلك حتى أنهم كانوا يداوون بالسلافة.

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 195

[2]- ابن القطان، **نظم الجمان**، تح: محمود علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989، ص: 160.

[3]- المرجع نفسه، ص:160.

وقد تعددت أنواع الخمور في المجتمع الأندلسي بتعدد المصادر التي صنعت منها، فإلى جانب اتخاذها من العنب وهو أصل الخمور كما يقول ابن زهر ، ويشير إليه ابن حمدين بقوله: "إ ن الخمر هو ماء العنب يتغير من حال إلى حال في الرائحة واللون والفعل والطعم والعين والذات ". ولم تقتصر صناعتها على الاستهلاك الشخصي بل ووجهت كذلك للتسويق أين بيعت في الأسواق كسوق اشبيلية[1]. وقد وجدت أماكن ارتادها المعاقرون للخمور بالطبيعة وكذا بالحانات المنتشرة في كثير من المدن كإشبيلية وقرطبة وطليطلة والتي أوكلت إدارتها لنساء نصرانيات وحتى في المقابر كما هو شأن مقبرة اشبيلية. وبهذا انتشرت عادة الشرب والحانات في العديد من المدن الأندلسية والتي شكل المستعربون والنصارى أغلبية ساكنيها .

وقد حرص خلفاء الموحدين على تغيير المنكرات واتخذوا من إمامهم بن تومرت قدوة في ذلك وقد حذروا وحملوا على عاتقهم أن يقمعوا بشدة كل وال أو مسؤول يبدو عليه التعنت والانحراف والزيغ ولو كان هذا الوالي أقرب الناس إليهم، كما تتبعوا الخمر وشاربيه، حيث بعث المنصور إلى الطلبة والموحدين والأشياخ والأعيان والكافة باشبيلية منشورا يأمرهم من خلاله بإراقة المسكرات وتحريم بيعها وتحويل الحانات إلى حوانيت لبيع الأشياء المباحة :"...ما أسكر كثيره فملء الكف منه حرام...فاقطعوه جملة وتفصيلا ولا توجدوا أحدا إلى بيعه سبيلا.. وأخلوا الحوانيت التي يباع فيها منه وأفقروها.. والديار المعروفة أيضا ببيعه لا تتركوها وأريقوا ما تلقون من مشتبهه وملتبسه وعاقبوا من تجدونه عنده أشد عقوبة وحتى وجدتم عندهم رائحة منه كائنا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع[2].

[1]- صديقي عبد الجبار، **سقوط الدولة الموحدية (دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات)** ، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إش: مكيوي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013، ص ص: 147-148.

[2]- حداد مزوزية، المرجع السابق،ص:181-182

2-2-الممارسات الجنسية المحرمة:

من مفاسد الحضارات الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات الفرج بأنواعها، فإذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة، وهذا ما أدى إلى تصدع الكيان الإسلامي خاصة في الأندلس.

ويكفي هنا أن نستحضر م ا ا شتهرت به منتزهات الأندلس على عهد الموحدين كمنتجعات لأهل اللهو والمجون، فمنتزه اشبيلية الواقع على ضفتي واديها لم يكن يخلو من أدوات الطرب والشرب، وقد كثرت أماكن الدعارة وانتشر البغاء الذي أضحى مألوفا في الأندلس، وقد اتخذن أماكن مخصصة كالفنادق و أحياء مخصصة لممارسة الزنا والبغاء والسحاق كحي ابن زيدون بقرطبة، المقابر أيضا للدعارة والفسوق، إذ وجدت بعض النسوة اللائي اتخذن من بيع أجسادهن مهنة يتكسبن منها وقد اصطلح عليهن الخراجيات وفي مصادر أخرى بالفاجرات أو العاهرات، وقد تشدد خلفاء الموحدين في محاربة هذه الآفات كما هو الحال في المغرب خاصة وان هذه الأخيرة قد عرفت مثل هذه الآفات بعد مهاجرة الأندلسيين إليها وذلك بمحاربة مواضع تواجد هؤلاء[1].

وقد ظهرت في اشبيلية وقرطبة وغرناطة آفة عشق الغلمان وظهرت في الدولة الموحدية بعد وصولهم إلى الأندلس متأثرين بالمناخ الأندلسي الذي شاع فيه لواط الغلمان ،إذ كان في عصر المنصور الذهبي معظم العاملين في القصر من غلمان أوروبيين تحولوا فيما بعد إلى الإسلام، وقد ارتبطت دعارة الرجال قديما عبر التاريخ بتجارة الغلمان، وكانت تنتشر بكثرة في اشبيلية وقرطبة وغرناطة [2]، وقد عاب ابن بسام الشنتريني على الوزير ابن عبدون بأنه كان في صباه يتعشقه رجل يقال له ابن مناذر.

[1]- بن خيرة رقية ، المرجع السابق، ص: 153.

[2]- المرجع نفسه ،ص:156.

وقد أمر الخليفة المؤمن بالكشف عن أصحاب الهوى وما يقومون به ومحاربتهم بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله في قوله: "فاكشفوا عن هذه الأصناف وأثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيح سالمة من الهوى والظن باستصحاب حاله، وتماديه على الإحضار في محل باطله ومحاله فيحكم كتاب الله جل اسمه وإتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم "كما أمر المستنصر بتتبع هؤلاء والتعاون على تشتيتهم[1].

2-3-اللصوصية:

انتشرت ظاهرة اللصوصية في الأندلس قبل مجيء الموحدين نظرا للتمايز الاجتماعي الذي أفرزته مرحلة الحضارة والترف وليس هذا فحسب فحتى الظروف الاجتماعية من ثورات وأزمات طبيعية كالمجاعات، فنجم عنها ظهور فئة عاجزة عن تحصيل عيشها ناقمة عن الأوضاع ومتمردة على شروط الحياة الجديدة فاتخذت من اللصوصية سبيلا لها مستهدفة بشكل كبير كبار الملاك من الأثرياء وأرباب المواشي وليس هذا أن بقية الفئات الأخرى من عامة الناس بمنء عن شرهم، وقد انتشرت في المدن والأرياف وفي الطرق أثناء نقل السلع وتنقل التجار، ونجد في بعض الأحيان كان السفر ينقطع لكثرة النهب ولوجود قطاع الطرق كذلك، ونجد أن الفقيه محمد بن عبد الله الصقلي التاجر 518هـ/1124م الذي كان متجها نحو غرناطة قد سلب في طريقه إليها من لدن اللصوص[2].

وهنا يجدر بالذكر السياسة التي انتهجها الخليفة المنصور لمحاربة تلك الآفة، حيث أراد الحصول على الإخبار المتعلقة بحياة الناس اليومية وما يعانونه، وبالفعل وصلته أخبار عن كثرة السرقة للدواب والسلع والبضائع في الأرياف والمدن، وهذا ما دفعه إلى التدخل بنفسه ومراقبة ما يجري، وأمر بمعرفة ما يجعلهم

[1]- الشنتريني ،**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م،ص: 144.

[2]- بن رقية خيرة، المرجع السابق، ص: 181.

يقدمون على هذا الفعل، وقام بالتحري عن الأسر الفقيرة ومساعدتها وأنذر بإقامة شرع الله عن كل متعد على أموال الناس.

2-4-انتشار البدع والخرافات والممارسات الغيبية:

شاع الإيمان بالتنجيم والخرافات والشعوذة في الأندلس، وقد شكلت الشعوذة حرفة ل لوصول إلى جيوب المغفلين خاصة النساء. وظاهرة التنجيم والتنبؤ بالمستقبل لم تكن في عهد الموحدين بل منذ عصر الطوائف والمرابطين وحتى قبلهم ولم تقتصر على عامة الرعية بل حتى السلطة، ويكفينا دليلا على قولنا هذا أن أحد الوزراء للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين المدعو مالك بن وهيب كان على رأس المنجمين والعرافين بأحداث المستقبل، حتى انه يعد أول من تنبأ بظهور المهدي بن تومرت ، وأن شكل السكة المرابطية سيتغير من الشكل المستدير إلى الشكل المربع وهو عملة الموحدين [1]. وما من شك أن الحكام عمدوا على تقريب المنجمين منهم بغية استشراف الانتصارات السياسية في المقام الأول. وفي سنة 581هـ/1187م انتشرت فكرة اقتراب نهاية العالم ور وج لها كثير من الناس وظهر ذلك عليهم وكانت لها أثار سلبية إذ ساعدت كثيرا على تخريب الروح المعنوية عند الأندلسيين. وقد وجد المنصور في قصر قرطبة بالزهراء صورة للعذراء فقام بإزالتها بسبب معتقد الناس بأن لها طلسما يحميها[2]،كما انه لما اتجه سنة 591هـ/1197م إلى غزوة الأرك، لم يتوجه إلى زيارة قبر المهدي أبدا على عادة المراسيم مع أنه حمل معه عند توجهه للمعركة الكثير من الصالحين والمنتمين إلى الخير وسيرهم بين يديه وكان يستعين بهم لتحقيق النصر، فتظهر الصورة لنا مشرقة إذ أن المنصور لم يزر قبره وماعاد يتبرك به .

[1]-بوتشيش إبراهيم القادري ، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**. بيروت، دار الطليعة، 2006،ص: 152.

[2]-الناصري احمد بن خالد، المرجع السابق، ج: 2، ص: 193.

الفصل الثالث

الانحرافات العلمية في المغرب والأندلس و موقف الموحدين منها

المبحث الأول: الانحرافات العلمية في المغرب .

1 . الاعتقاد بالإمامة والمهدوية والعصمة:

اختلفت تعاريف الإمامة لكنها حملت نفس المعنى حيث يعرفها الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"[1]، ويعرفها الإمام الجويني بأنها "رياسة تامة وزعامة عامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا"، وعن صفات الإمام فعليه أن يكون حرا قرشيا، مجتهدا وورعا، ذو نجدة وكفاية، كما يشترط أن يكون ذكرا فالمرأة لا تصلح إماما لأن الإمامة تستدعي الظهور والبروز[2].

ومفهوم الإمامة لدى ابن تومرت هـ و الإتباع والاقتداء والسمع والطاعة والتسليم و امتثال الأمر واجتناب النهي، كما أنها ترتكز على عنصر أساسي يعتبر جوهرها وهو إتباع الإمام وطاعته والامتثال له، كما يرى بأنه من الواجب الاعتقاد بالإمامة على كافة الناس فهي ركن من أركان الدين وعمدة من عمد الشريعة ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد ها في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة، ويستدل في ذلك بخطاب الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام إذ قال تعالى : «**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** »[3]، وعلى هذا لا يكون الإمام حسبه إلا معصوما من الباطل ليهدم الباطل لأن الباطل لا يهدم الباطل، وأن يكون معصوما من الضلال لأن الضلال لا يهدم الضلال، وكذلك المفسد لا يهدم الفساد ، فلا بد أن يكون الإمام معصوما من الفتن والبدع[4]، ويقول ابن تومرت أن على الإمام الاقتداء بعكس الصفات المنبوذة إذ أنه لن يتمكن من التصدي لها إن لم يكن رافضا لها وبعيدا عنها[5]، فلا يدفع الباطل بالباطل وإنما يدفع بضده وهو

---

[1]- الماوردي أبو الحسن محمد بن حبيب، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** . تح أحمد مبارك البغدادي، الكويت، دار بن قتيبة، ط 1، 1989ص:05.

[2]- الجويني عبد الملك ابن عبد الله، **غياث الأمم في التياث الظلم**. الإسكندرية، مطابع جريدة السفير، ط1، ص: 69.15

[3]- سورة: البقرة، الآية: 124.

[4]- ابن تومرت محمد، **أعز ما يطلب**. تح: عمار طالبي، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، 2007، ص:245

[5]- النجار عبد المجيد، **المهدي ابن تومرت**. جامعة الأزهر، القاهرة، ط1، 1983م، ص: 224

الحق ولا تدفع الظلمة إلا بالنور ولا يدفع الضلال إلا بالهدى، ولا يدفع الجور إلا بالعدل، ولا المعصية إلا بالطاعة، ولا الاختلاف إلا بالاتفاق وإسناد الأمر إلى أولي الأمر وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم[1].

ويعتقد بأن الله جعل الإمام قائما بالحق ليطاع بإذن الله ويستدل بنبي الله عيسى عليه السلام الذي بعثه الله نبيا وإماما بالحق ليتبعه الحواريون ويقتدوا بأمره، ومتى ضيع أمر الإمام أو عصي أو نوزع أو خولف أو أهمل أو عطل ولم يرجع إليه واستبد دونه بقول أو فعل أو تدبير أو أمر أو نهي، عطل أمره وظهر الفساد في الأرض، وليعظم المهدي بن تومرت من مقام الإمام يذكر تعظيم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لشخصه الكريم بما يشمله من طاعة ومشورة و تبرك و بذكر بعض المشاهد التي قد لا تثبت صحتها حين يقول: «فلا يتنخم نخامة إلا ابتدروها ومسحوا وجوههم و إذا توضأ يقتتلون على وضوءه ولا شعرة من شعره إلا عضموها» ، ولم يخرجوا من طاعته و الاقتداء به فما أتاهم أخذوه ونهاهم عنه انتهوا عنه، وسارعوا بذلك إلى مرضاة الله حين سارعوا إلى رضا الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسبه فإن الإمام هو المتبوع في كل الأمور من الأشياء إلى الخلفاء من بعد الرسول فالإمام تؤدى إليه الحقوق وتضرب به الرقاب وترجع إليه الحدود[2]، وقد استغل ابن تومرت الجهل الذي ساد مجتمعه الذي سيطرت عليه الخرافة ليكرس لزعامته الدينية التي توصله للزعامة السياسية و يتضح ذلك من خلال اعتباره أنّ الدين لا يقوم إلا بالإيمان بالإمامة، فهي بالنسبة له ركن من أركان الدين وعمدة من عمد الشريعة واعتقادها دين والعمل بها دين والتزامها دين ولا يكذب بهذا الأمر إلا كافر أو جاحد أو منافق أو زائغ أو مبتدع أو مارق أو فاجر أو رذل أو ندل لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهو بذلك اقترب من عقيدة الشيعة الإسماعيلية، ونجد بذلك المهدي اتفق مع الشيعة الإسماعيلية في عدة نقاط منها:

ـ يعتبران بأن الإمامة من مسائل العقيدة وليس فروعها فلا يقوم الدين إلا بها.

[1]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص: 297

[2]- المصدر نفسه، ص ص: 246- 247

ـ يتفقان على وجوب الإمامة.

ـ ويتفقان على أن إقامة الإمامة ترتكز على عنصر أساسي هو جوهرها وهو عنصر إتباع الإمام وطاعته والامتثال له.

وهكذا فإنّ الإمامة الدينية هي الشعار السياسي الذي انتحله ابن تومرت لدعم زعامته و سلطانه وهي الثوب الذي لبسه لتأييد شرعية إمامته و قدسيتها لذلك حرص على أن ينتسب إلى آل البيت حتى تتوفر فيه شرعية الإمام[1].

1 .1. المهدوية:

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن خروج المهدي في آخر الزمان وذكرت في ذلك أحاديث كثيرة، وأنّ خروجه سيكون بعد ظهور الظلم والجور في الأرض والذين سيغلبان الحق، وقد روي عن أبو نعيم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «يخرج رجل من أهل بيتي يعمل بسنتي وينزل الله له البركة من السماء و تخرج له من الأرض بركتها و يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما ويعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل ببيت المقدس»[2]، وتقوم فكرة المهدية كما عرفت في العالم الإسلامي على الإيمان برجل منتظر يضرب نسبه في آل البيت ويكون مخلصا للأمة ويسمى المهدي لأن الله قد هداه فاهتدى، وتناقل المسلمون بمختلف فرقهم جملة من الأحاديث تفيد أن رجلا من آل البيت سيظهر في آخر الزمان يخلص الأمة من الظلم والعدوان ويحكمها بالحق والعدل، من أشهرها قول الرسول صلى الله عليه وسلم «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواط ؤ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما وجورا»[3].

---

[1]- ولد حمادي حمودي، "مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين ابن تومرت" مجلة دراسات، السنة 5، ع: 2، 2016، ص: 182،185.

[2]- التويجري حمود بن عبد الله بن حمود، **الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر** . الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1983م، ص: 25، 29.

[3]- النجار عبد المجيد، المرجع السابق، ص ص: 240 -241

ونجد أن ابن تومرت قد ربط بين ظهور المهدي وما استفحل من فساد في زمانه حيث انتشر الجهل وعمت الظلمات وانخمدت الأنوار حتى أصبح الجهل علما والباطل حقا والمنكر معروفا والجور عدلا، والمهدي حسبه هو المنقذ من هذا الفساد [1]، وأخذ ابن تومرت يذكر بالوصف المهدي المنتظر للموحدين ويشوقهم إليه وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ادعى ذلك لنفسه، وقال: "أنا محمد بن عبد الله"، ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي فبايعوه على ذلك [2]، ويذكر ابن القطان أن ابن تومرت قال:«...وأقول وأنا محمد بن عبد الله ابن تومرت وأنا مهدي آخر الزمان»[3]، أما صاحب الحلل الموشية فيروي لنا أنه بعد أن اكتسب المهدي ابن تومرت ثقة أتباعه اجتمع بهم في شهر رمضان المعظم من سنة 515هـ/1121م وخطب فيهم قائلا: «الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاؤه، لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، ويبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحق وإزالة الجور بالعدل، مكانه المغرب الأقصى وزمانه آخر الزمان والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل...»، فلما فرغ من خطبته قال له العشرة من أصحابه : «يا سيدي هذه الصفة لا توجد إلا فيك فأنت هو المهدي » ، وبايعوه على ذلك تحت شجرة الخروب في تينمل [4]، في حين جاء في كتاب روض القرطاس أن ابن توم رت أعلم أتباعه أنه الإمام المهدي المنتظر [5]، وبهذا فقد اعتبر ابن تومرت نفسه إماما من موكب الأئمة من لدن آدم إلى محمد عليهم السلام بتفويض من الله واختيار منه[6] .

---

[1]- النجار عبد المجيد، المرجع السابق ، ص: 243

[2]- المراكشي، المصدر السابق، ص: 187

[3]- ابن القطان، المصدر السابق، ص: 89

[4]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** . تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ط 1، 1979، ص ص: 107-108

[5] - علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**. الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص: 176

[4]- موسى عز الدين، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظهم**. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص: 56.

وبالنسبة لموقف الأمراء الموحدين من عقيدة المهدية فلم يكن على وتيرة واحدة فمنهم من اعتقدها وآمن بها متحمسا في ذلك ، ومنهم من لم يعارضها لمآرب سياسية ، وهناك من جاهر برفضها ومقاومتها[1]، و يعتبر الخليفة الأول للموحدين عبد المؤمن بن علي أكثرهم تعلقا بالمهدي وتقديرا وتبجيلا لشخصه، ويتضح ذلك من خلال مواقفه فكثيرا ما كان يقصد قبره في تينمل لإطفاء شوقه إليه كما ذكر في أحد رسائله حينما قال : «وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضي الله عنه لتجديد عهد به تقادم و شفاء شوق إليه لزم ولازم، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته»، وقد كان دائم الدعوة إلى الإيمان بالمهدي وعمل على نشر تعاليمه وإنفاذها بين الناس وهو من جمعها في كتاب "**أعز ما يطلب**" وحث الناس على الإيمان بها [2]، ولقب ابن تومرت من خلال رسائله بالإمام المعصوم والمهدي المعلوم، كما ركز على غرس تعاليم المهدي في الناشئة من طلبة العلم، من ذل استدعاؤه الصبيان الصغار من إشبيلية وقرطبة وفاس وتلمسان حيث أنزلوا بمراكش وأمروا بحفظ كتب التوحيد وموطأ الإمام المهدي بتأطير من أساتذتهم أبي الحسن تجية وأبي بكر الحصار حتى بدا عليهم كما جاء على لسان ابن القطان نور الإمامة وتميزوا بالكرامة[3].

وعلى نهج أبيه سار الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف في اعتقاد المهد وية والعمل على نشرها [4] وأبقى على المراسم العامة التي تعلن عن الإيمان بالمهدي وتعظيمه منها خطبة الجمعة حيث لم تخلو من التعظيم من شأن المهدي والدعاء له في المنابر وهذا بعض مما جاء فيها : «الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه، ونبرأ من الحول والقوة إليه ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه ففاتوا الأنام جدا وعزما، وأنفذوا وسعهم في نصره والصبر على ما أصابهم فيه وفاء وصدقا وحز ما وعلى الإمام المعصوم المهدي المعلوم أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي الذي أيد

---

[1]- النجار عبد المجيد، المصدر السابق، ص: 403

[2]- ابن تومرت ، المصدر السابق ، ص :403،404

[3]- ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان** . تح محمد علي مكي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص: 179

4- النجار عبد المجيد، **المهدي ابن تومرت**، ص: 405

بالعصمة فكان أمره حتما واكتنف بالنور اللائح والعدل الواضح الذي يملأ البسيطة حتى لا يدفع فيها ظلاما ولا ظلما ...»[1]، أما أبو يوسف يعقوب فيبدو من خلال ما جاء في المعجب أنه كان مرتابا في أمر المهدية ورافضا لها في قرارة نفسه، ويستدل المراكشي في ذلك بحديث دار بين أحد شيوخ الأندلس أبا بكر هانئ والخليفة الموحدي عقب عودته من غزوة الأرك يقول فيه كما جاء على لسان صاحبه: «خرجنا نتلقاه فقدمني أهل البلد لتكليمه فرفعت إليه فسألني عن أحوال البلد وقضاته وولاته وعماله...ثم قال لي: "ما قرأت من العلم ؟ ، قلت: قرأت تواليف المهدي، أعني ابن تومرت فنظر إلي نظرة المغضب، وقال: ما هكذا يكون الطالب إنّما حكمك أن تقول قرأت كتاب الله ، وقرأت شيئا من السنة، ثم بعد ذلك قل ما شئت» [2]، لكنه لم يجرؤ على إجراء أي تغيير ظاهر في رسوم المهدوية[3]، ولما تولى ولده أبو العلاء إدريس المأمون الخلافة في عام 624هـ/1227م[4] غير شعائر الموحدين التي سنها لهم المهدي وكان أول من صرح بلعنه وأسقط اسمه من السكة والخطبة [5]، وجاء في الأنيس المطرب أنه بعد دخول المأمون لمراكش من عام 627هـ/1230م ومبايعة الموحدين له صعد المنبر في جامع المنصور وخطب الناس وقال : «أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم فإنه لا معصوم إلا الأنبياء، ولا مهدي إلّا عيسى، وإنا قد نبذنا أمره النحيس»، ثم كتب إلى جميع الأقطار آمرا بتغيير سير المهدي وما كان ابتدعه للموحدين وجرا عليهم عمله وسير ملوكهم، وأمر بإسقاط اسم المهدي من الخطبة وإزالته عن الدنانير والدراهم ودوروا الدراهم المركنة التي ضربها المهدي، وقال: "كل ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لإبقاء البدع""[6].

ومما جاء في نص رسالته التي كتبها بخط يد «...وبعد فالذي نوصيكم به تقوى الله العظيم، والاستعانة به، والتوكل عليه ولتعلموا أننا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لا مهدي إ لا عيسى بن مريم

---

[1]- المراكشي، المصدر السابق، ص: 344

[2]- المصدر نفسه، ص: 293

[3] - عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين و الموحدين)**.ج: 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1990، ص: 577.

[4]- الزركشي، المصدر السابق، ص: 48

[5]- العبدي أحمد الكانوني، المصدر السابق، ص: 36

[6]- ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق، ص: 251

روح الله، وما سمي مهديا إلا لأنه تكلم في المهد فتلك بدعة قد أزلناها والله يعيننا على هذه القلادة التي تقلدناها»، وقتل الخليفة المأمون كل من خالفه من أشياخ الموحدين و يقال أنّ عدد الرؤوس التي قطعت كانت أربعة عشر ألفا علقت في أسوار مراكش [1]. وبسبب ما أقدم عليه المأمون فقد خلفاء بني عبد المؤمن كثيرا من التأييد الروحي والقبلي خاصة في منطقة جبال المصامدة وبلاد السوس، وتدارك الأمر الخليفة الرشيد ولده حيث حاول التقرب من الزعماء الموحدين وإرضاءهم من خلال إعادة رسوم الإمامة المهد وية وتقاليدها[2]، في حين أن الخليفة الموحدي أبا جعفر المرتضى كان من أكثر الأمراء تشييعا للمهدية واعتناقا لها[3]، وبالتالي قد تباينت مواقف الخلفاء الموحدين حول التعامل مع المهدية التومرتية لكنّهم كانوا في معظمهم يضمرون الرفض لتلك العقيدة.

2.1 العصمـة

العصمة حسب ابن تومرت فرع من فروع الإمامة لأنها صفة من صفات الإمام، ومعناها الخلو من الأخطاء والآثام على مستوى الفكر والسلوك [4]، وذهب ابن تومرت إلى إثبات العصمة للإمام قطعا وصراحة حيث رأى أنه على الإمام أن يكون معصوما من الباطل والضلال والفتن والعمل بالجهل، ونسب إليه بعض المفتونين به كرامات وخوارق جعلت بعض المؤرخين ينسبون إليه العصمة [5]، منها عصمته من أهل الإسكندرية حين رأى المناكر فيها فغيرها، كما منع أهل المركب من إغراقه وقد هموا بذلك حين ركب البحر في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب فرأى في المركب خمرا فأراقه، فصاح عليه صاحب الخمر سبه ووضع يده فيه ثم اجتمع أهل المركب إليه ورغبوه حتى سكت، ثم حضر وقت الصلاة فأمرهم بالصلاة فلم يلتفتوا له فشدّد عليهم فغضبوا وهموا بإلقائه من المركب فهال عليهم البحر حتى كادوا يغرقون، فتداركوا بعد ذلك أنفسهم بإرضائه وطلب الدعاء منه طوال رحلة السفر،

[1]- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص ص: 164-165

[2]- عنان محمد عبد الله المرجع السابق ، ص: 577

[3]- النجار عبد المجيد ، **المهدي ابن تومرت** ،المرجع السابق، ص: 406

[4]- محمد ابن تومرت ، المصدر السابق ، ص: 248

[5]- ولد حمادي حمودي، المرجع السابق، ص:190

وقد أشاد ابن القطان بكرامات المهدي بن تومرت[1]، ويبدو من خلال ما ذكرناه أن العصمة عند ابن تومرت ارتكزت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد بن تومرت أن الإمامة تستوجب العصمة حين يقول لا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل ومعصوما من الضلال، ومعصوما من الفتن ومعصوما من العمل بالجهل[2] .

ولم يورد المهدي تفصيلا للعصمة في فكر الإمام وعمله لكن عبد الحميد النجار يرى بأنها تتعلق بجانبين هما العصمة من الباطل والعصمة من الظلم ، فأما العصمة من الباطل فتعني عصمة الإمام في الآراء والمبادئ والتعاليم التي يدعو إليها ويبشر بها ، وأما العصمة من الظلم فهي تتعلق بسياسة الناس والقيام على شؤونهم وتدبير أمورهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وقد بدا ذلك واضحا من خلال كلامه الذي وجهه للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين في مجلس أحضره فيه للمناظرة فقال له" إنما أنا رجل فقير طالب للآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها إير أني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأنت أول من يفعل ذلك فإنك المسئول عنه وقد وجب عليك إحياء السنة وإماتة البدعة، وقد ظهرت بمملكتك المنكرات وفشت البدع وقد أمرك الله بتغييرها وإحياء السنة بها إذ لك القدرة على ذلك وأنت المأخوذ به والمسئول عنه" [3]، ومن الواضح أن العصمة التومريتة مرت بمرحلتين الأولى تتمثل في العصمة من خطر الخصوم الذي تعرض لهم ابن تومرت أثناء عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريق عودته من الإسكندرية إلى بلده [4]. ومن ثم طعنه في المرابطين ووصفهم بالكفر والتجسيم ودعوته الموحدين لترك المنكرات من خلال كسر المزامير وآلات اللهو وإراقة الخمر [5] الخمر[5] .

[1]- ابن القطان، المصدر السابق ، ص: 91 ،92

[2]- محمد ابن تومرت ،المصدر السابق ،ص: 245

[3]- عبد المجيد النجار ، المهدي ابن تومرت ، ص: 249 . 151

[4]- حداد مزوزية ، المرجع السابق ، ص: 128

[5]- ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص: 174

والثانية العصمة من الخطأ التي تعني الحاكم المطلق أو المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا والذي يخضع له جميع الموحدين ويعترفون به بعد الله كالأنبياء وخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذي ينبغي أن ينتمي إليه المهدي المعصوم [1]. وعقب وفاة المهدي بن تومرت وتولي خليفته عبد المؤمن بن علي حكم الدولة الموحدية حافظ الأخير على الإمامة والعصمة للمهدي ولم يحمل هو ذلك اللقب كما تشير إلى ذلك الرسائل الموحدية، من بينها رسالة عبد المؤمن إلى أهل الأندلس بعد فتح مراكش جاء فيها «من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره أمده بمعونته إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس وصحبهم من المشيخة والأعيان والكافة وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه،سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد فالحمد لله وهو اللطيف الكريم الرؤوف الرحيم الذي بعدله قامت السماوات والأرض وبه تقوم، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ولأمته المخلصة في عليين كتابها المرقوم، والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم، الذي بعثه رحمة للمؤمنين ينيلهم به الروح والنعيم ويريهم رحيقها المختوم ..» ، ومن خلالها نرى أنه خص ابن تومرت بالإمامة والعصمة [2]، وعلى خطاه سار ابنه أبو يوسف يعقوب، غير أن الخليفة الثالث للموحدين يعقوب المنصور بدا أنه فقد إيمانه بعقيدة الموحدين حين اعتبر عصمة المهدي فكرة كاذبة وأنه لا ينبغي أن يسترشد المسلمون بغير كتاب الله وسنة نبيه[3]، ويثبت صحة هذا القول ما نقله صاحب المعجب من حوار جرى بين الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف المري والخليفة المنصور في حجر الكعبة حيث خاطب المنصور الشيخ أبي العباس قائلا: "يا أبا العباس اشهد لي بين يدي الله عز وجل إني لا أقول بالعصمة"، يعني عصمة ابن تومرت [4]، أما الخليفة المأمون فقد لعن ه في المنابر وجاء في رسالة له بعث بها إلى جموع الموحدين بعد توليه الحكم عام 622هـ/1226م «... ولتعلموا أننا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق و أن لا مهدي إلّا عيسى ابن مريم روح الله، وقد أسقطنا اسم من لم تثبت له عصمة فلذلك أزلنا عنه رسمه فيمحى ويسقط ولا يثبت .. وإذا كانت العصمة لم تثبت للصحابة فما الظن بمن لم يدر بأي يد

[1]- حداد مزوزية ، المرجع السابق ، ص: 128

[2]- عزاوي أحمد ، رسائل موحدية ، ص: 62

[3]- روجي لي تورتو ، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12و 13م** ،ترجمة أمين الطيبي، ليبيا، الدار العربية للكتاب،دط،1982، ص: 89

[4]- المراكشي ، المعجب ، ص: 282

يأخذ كتابه، بل هم قد ضلوا وأضلوا، وتلفوا في ذلك وزلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك الحاجة ، اللهمّ اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار»[1].

وهكذا فقد جعل بن تومرت من المهدية عقيدة ألزم بها أتباعه وأضاف إلى هذا المعتقد الذي ادعاه لنفسه أمر العصمة وحاول التدرج في إظهار الأمر في بادئ أمره، أولا بالتلميح ثم صرح بدعوى المهدي المعصوم[2]، وتباين في ذلك الخلفاء الموحدون بين من احتفظ بهذه العقيدة ومن عارضها دون التصريح بذلك، ومن حاربها و لعنها جهارا .

2 . البعد عن عقيدة التوحيد:

إن غاية الحياة عند ابن تومرت هي توحيد الله وعبادته، والتوحيد مقدم على العبادة إذ لا تقوم العبادة إلا به وهو أول ما يجب تحصيله، والعلم بهذا المفهوم هو سبب الهداية إلى كل خير، وهو أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل [3]، وعلى هذا فقد أصبح التوحيد الركيزة الأساسية في عقيدة ابن تومرت في حركته الثورية حتى أصبح يطلق على مجمل العقيدة الصحيحة كما تصورها ودعا إليها، وأصبح يطلق على أتباعه والمنضمين إليه اسم الموحدين ونفذت هذه التسمية إلى الدولة التي تسمت بالدولة الموحدية [4]،كما يختصر ابن تومرت التوحيد في قول لا اله إلّا الله في الأولين والآخرين وهو إثبات الواحد ونفي من سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت و كل ما يعبد سواه يجب نفيه والكفر به والتبرء منه[5].

ومن خلال هذا التعريف يتضح أنّ لحقيقة التوحيد بعدين أساسيين: بعد تصوري يتعلق بالمفهوم الذهني لوحدانية الله، وبعد عملي يتعلق بالجانب التعبدي في التوحيد، فأما البعد التصوري لوحدانية

[1]- مؤلف أندلسي مجهول ،**الحلل الموشية**، المصدر السابق ،ص: 165

[2]-الصلابي علي محمد، **صفحات من التاريخ الإسلامي (عصر الموحدين)** ،عمان، دار البيارق للنشر، دط، د ت، ص :54 ، 55

[3]- موسى عز الدين ، المرجع السابق ، ص: 79

[4]- النجار عبد المجيد ، **المهدي ابن تومرت** ، ص: 202

[5]- ابن تومرت ، المصدر السابق ،ص: 172، 173

الله فيقوم على فكرة أساسية هي التنزيه المطلق لله تعالى عن المثلية و يتمثل في محاور متعددة منها التنزيه عن المثلية في العدد والصفات و كذلك في التقيد بالمكان والزمان، فالله تعالى: « لا يقال متى كان، ولا أين كان، ولا كيف كان، كان ولا مكان، كون المكان ودبر الزمان، لا يتقيد بالزمان ولا يتخصص بالمكان»، و منها التنزيه عن المثلية في الفعل فالله وحده هو الفاعل الوحيد في الكون «ليس معه مدبر في الخلق ولا شريك في الملك»[1].

وأما البعد العملي للتوحيد فلا يتحقق الإيمان بالتوحيد على الوجه الأكمل عند المهدي العملي للتوحيد فلا يتحقق الإيمان بالتوحيد على الوجه الأكمل عند المهدي إلّا حينما يقع العمل بمقتضى حقيقته التصورية لذلك أطلق على من اتبع دعوته و انضمّ إليه و عمل بمقتضى أوامره اسم "الموحدين"، وأطلق على المرابطين اسم المجسمين [2]، والمتتبع لرسائل المهدي وخطبه وبياناته يجد أن حقيقة التوحيد هي العمود الفقري لثورته في مختلف مستوياتها حتى أنه جعله شعارا لتلك الثورة، وتزامن ذلك مع الانحراف الذي شهده أهل المغرب ببعدهم عن التوحيد الصحيح فكان دائم الإعلان عبر خطبه ورسائله أنّ التوحيد هو أساس الدين الذي بني عليه، وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم بثبوته[3]، واستغل ابن تومرت جهل أتباعه من البدو والأميين الذين لا يستطيعون فهم الشريعة من أصولها المعتمدة وتب لهم شيئا في العقائد والعبادات بعضها باللسان البربري، وألزم أتباعه بحفظ شيئ من القرآن والحديث النبوي واستيعاب حقائق التوحيد [4]، ويرى أكثر المؤرخين بأشعرية مذهب ابن تومرت في التوحيد[5]، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها وكان يبطن شيئا من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء[6].

---

[1]- النجار عبد المجيد ، **المهدي ابن تومرت**، المرجع السابق ،ص: 204، 205

[2]- المرجع نفسه،ص207

[3]- النجار عبد المجيد ، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت** ،فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،ط1995،2 ص: 89،90

[4]- الصلابي علي محمد ، المرجع السابق ، ص: 71

[5]- موسى عز الدين عمر ، المرجع السابق ، ص: 80

[6]- المراكشي ، المعجب،ص: 188

وشرع ابن تومرت بعد مبايعته عام 514هـ/1121م بتعليم الموحدين التوحيد باللسان البربري وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور معتبرا أن من لا يحفظ التوحيد ليس بمؤمن وإنم ا هو كافر لا تجوز إمامته ولا توكل ذبيحته، فصار التوحيد عند المصامدة كالقرآن الكريم واستغل في ذلك جهلهم بأمور الدين[1]، وبذلك قسم المجتمع إلى مؤمنين و كافرين على مدى تمسكهم بالتوحيد على نهج ابن تومرت. وبسبب قناعة ابن تومرت أنّ الطريق المستقيم هو طريق التأويل و التوحيد فقد قام بتكفير من اعتبرهم مجسمين و من تبعهم و على أساس هذا الانحراف حارب المرابطين حاملا بذلك مهمة الإصلاح الديني في الإسلام تحت شعار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر [2].

وعقب فتح الخليفة عبد المؤمن لمراكش رتب الخطباء بالمساجد من الذين يحفظون اللسان البربري يخطبون به، وعزل أصحاب اللسان العربي في جميع البلاد فكان لا يخطب و لا يؤم إلّا من يحفظ التوحيد بلسان البربر [3]، وكان قد عزل خطيب جامع القرويين بفاس لعدم معرفته بلغة البربر وعين مكانه من يجيد اللغة العربية ولغة البربر، وحرص الخليفة على إلزام من يعرف لغة البربر بحفظ عقيدة التوحيد لابن تومرت ومداومة قراءتها[4]، وآخذ عبد المؤمن أهل بجاية ببعدهم عن التوحيد في رسالة كتبها أبو جعفر بن عطية جاء في مبتداها «وابتدئ بأول مباني الإسلام فآخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها، فلا سبب لمن لا يتمسك بسببه، وقد بني وجوب العلم بالفرائض على وجوب العمل به وهو إثبات الواحد ونفي ما سواه بتقييدات في الشريعة لا يكتفي معها إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه... ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات، ويحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه، ويؤمر طلبة الحضر

---

[1]- ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق ، ص: 177

[2]- هويثي ميراندا أمبروسيو ، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية** ،تر عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،ط 1 2004،ص: 39 ، 40

[3]- العبدي محمد بن أحمد الكانوني ، المصدر السابق ، ص: 27

[4]- حسن علي حسن ، **الحضارة الاسلامية في المغرب و الأندلس(عصر المرابطين و الموحدين)**،مصر، مكتبة الخانجي،ط1980،1 ص: 489

ومن معهم بقراءة العقائد وحفظها ...»، وشدد على التزام كل من حق عليه التكليف بمعرفة التوحيد وأنه لا يصح لهم ولا يقبل منهم قول ما لم يتقيدوا بفعل ذلك[1] .

3. الموقف الموحدي من المذهب المالكي:

كان قيام دولة المرابطين نصرا للمالكية في المغرب و تأكيدا لدور علماء المالكية فالدولة أساسا هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك، و أصبحت الفتاوى و الأحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك حتى نهاية الدولة المرابطية، وقد عكست دولة الموحدين كلّ ما كان في عهد المرابطين ووقفوا موقفا عدائيا لفقهاء المذهب المالكي فقد وصفهم المهدي ابن تومرت «بأعوان الكفرة الملثمين ... من الطلبة ... تسموا باسم العلم، ونسبوا أنفسهم إلى السنّة وتزينوا بالفقه وتعلقوا بالكفرة، وانحازوا إلى جنبهم واستفرغوا مجهودهم في معونتهم...وأعانوهم على باطلهم ... ويقطعون النّاس عن الحق ويردونهم عن الباطل فلبسوا الناس بالزور و الغرور وظنّوا أنّ الأمر كما قالوا ، وحسبوا أنّ ذلك الحق...وقالوا لهم طاعتهم لازمة والانقياد إليهم واجب عليكم...فبغضوا أهل التوحيد وحذروهم من الرجوع إليهم وسلوك سبيلهم...ولبسوا عليهم بتبديل الكلام و تحريف القول بالزور و البهتان وتقولوا علينا ما لم نقل تجنبا و تبغيضا للحق عند القوام... و دلّسوا عليهم بهذه الأبواب»[2].

وهكذا انتقد ابن تومرت الحالة التي آل إليها الفقه في عصر المرابطين من تراكم في الأقوال الخالية من الدليل الشرعي الغالب ولم يكن في موقفه هذا رافضا لمذهب الإمام مالك و لكنّه كان يريد الرجوع إلى الأصول الحديثة للمذهب(القائمة على الكتاب والسنّة والإجماع و القياس، فقام باختصار كتاب الموطأ، وكان هدفه من ذلك هو تحرير العقل الفقهي من النزعة الفروعية التي يحكمها الجمود والتقليد، والرجوع من ثمّ إلى القرآن والسنة والإجماع مع إعادة الاعتبار لعلم أصول الفقه وللعقل بصفته أداة الاجتهاد والاستنباط والتأويل[3].

[1]- حسن علي حسن ،المرجع السابق ص: 265،536

[2]- عزاوي أحمد ، المرجع السابق ، ص :47،48

[3]- حداد مزوزية، المرجع السابق ، ص 131

وفي عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي أمر بإحراق كتب الفروع ورد النّاس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة [1]، ومع ذلك فقد استمر علماء المالكية بممارسة نشاطهم في عهده[2]، ولم يسلم من بطش الخليفة الموحدي قاضي تلمسان الفقيه أبا عمر عثمان بن صاحب الصلاة الذي قتل على يد عبد المؤمن تنفيذا لوصية معلمه ابن تومرت و كام ذلك عام 550هـ/1155م حيث كان ابن تومرت يوصي عبد المؤمن قائلا" إذا أمكنك الله من ابن صاحب الصلاة فاقتله فإنّ صفير الصاد في قوله لي عليك بخويصة نفسك لفي أذني حتى الآن" [3]، و سار أبو يعقوب يوسف على نهج أبيه في حمل النّاس على التأصيل ،لكن لما تولى يعقوب المنصور الحكم بعد والده كان أول عمل قام به هو محاولته القضاء على المذهب المالكي و استئصاله من جذوره [4]، ففي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، و أمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرّد ما فيها من حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة ابن سحنون وواضحة ابن حبيب، و قد جاء في المعجب ما يثبت صحة ذلك في قول المراكشي «لقد شهدت منها و أنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار وتقدم إلى النّاس في ترك الاشتغال بعلم الرأي و الخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة وأمر العلماء بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها محمد ابن تومرت في الطهارة، وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه» ، وكان قصده من هذا هو محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل النّاس على الظاهر من القرآن و الحديث[5].

---

[1]- ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص: 196

[2]- حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 488

[3]- ابن خلدون أبي زكريا يحي ،**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مج: 1، الجزائر، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، ص: 89

[4]- غانية البشير، **الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين (635.479هـ/1238.1086م)**. أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 2016/2015، ص:85

[5]- المراكشي، المصدر السابق ، ص: 279

ولم يكتف المنصور بمحاربة المذهب المالكي بالحرق و الترويع بل زاد على ذلك من خلال إبرازه وتشجيعه لعلماء علم الحديث ليحلوا محلّ المذهب المالكي [1]، وأمام هذا الترهيب الكبير الذي قام به يعقوب المنصور في التصدي للمذهب المالكي بشتّى الطرق ومنع انتشاره قام بعض فقهاء المالكية بتغيير طرق تعاملهم مع المذهب حيث قام ابن أبي جمرة بتأليف كتاب سماه " **نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار** " وكان ذلك سنة 580هـ/1184م والملاحظ من خلال كتابه أنّ الكاتب ابن أبي جمرة استعمل طريقة المحدثين في تأليفه بدل طريقة الفقهاء وذلك حتّى يتمكن من إبراز آراء المذهب المالكي بطريقة مختلفة عوض التي لا يرضاها الموحدون واستمر على هذا النهج عاكفا على تدريس المذهب رغم ما قام به المنصور وعماله من تضييق عليهم ، وكان دافع الموحدين من محاربتهم المذهب المالكي هو الدعوة إلى التجديد والعودة إلى أصول المذهب حسما للخلاف وتحسيسا للفقهاء بخطورة التقليد وضرورة الرجوع إلى الاجتهاد الفقهي وإلى النصوص الأصلية للإسلام، وليس فقط على ما تراكم من أقوال الفقهاء على مر العصور، وعليه فإن عهد أبي يوسف يعقوب المنصور عرف نهضة حديثة شجعت العلماء على الاشتغال بالقرآن و الحديث و الحذر من الخوض في علم الفروع [2]، واستغل المنصور كثرة الخلافات في كتب المذهب كذريعة لمحاولة القضاء عليه وبالتالي القضاء على نفوذ علماء المالكية الذين يجلهم العامة، وبجانب هذا فقد أظهر تعظيما للمذهب الظاهري كبديل للمذهب المالكي وكان المنصور الموحدي يتظاهر بمذهب الظاهرية و أعرض عن مذهب مالك فعظم أمر الظاهرية في أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية ينسبون إلى محمد ابن حزم رئيس الظاهرية، إلّا أنّهم مغمورون بالمالكية في أيامه ظهروا وانتشروا، وعارض علماء المالكية خطوات المنصور الموحدي ومن هؤلاء محمد بن محمد بن سعيد الأنصاري الذي تابع تدريس كتب المالكية حتّى أمر المنصور بسجنه في سبتة، وأبو الحسن بن زرقون وغيرهما، وهكذا فبقدر ما كان الخلفاء الموحدون محبون

[1] – السلاوي، المرجع السابق، ص: 183

[2] – حاكمي الحبيب ، **الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إش: بوباية عبد القادر، جامعة وهران ، 2010/2009 ، ص: 72

للمذهب الظاهري كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب متعصبين للمذهب المالكي ومناصرين له [1].

4 . الموقف الموحدي من سلوك المتصوفة :

يعرف التصوف بأنه العزوف عن الدنيا و الإعراض عن زخرفها و زينتها و العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله[2]، وظهرت خلال القرن 6 و 7هجريين 12 و13م عدة تيارات صوفية متباينة من حيث الأفكار والمعتقدات فانتشر في بلاد المغرب التيار الصوفي الملتزم بالكتاب والسنة والقائم على مجاهدة النفس بالصيام والقيام والتهجد وهم من عامة النّاس، ثم التصوف السنّي الفلسفي والذي التزم بتعاليم القرآن والسنة مع نزعته إلى كشف حجاب الغيبيات لإدراك الحقائق الإلهية و من بين هؤلاء أبو الفضل ابن النحوي من بني حماد، والتيار الثالث و الذي مثله التصوف الفلسفي القائم على التجريد البعيد عن حدود العقل واختص به النخبة من المتصوفة وكان فيه نوع من الانحراف عن الدين الصحيح[3]، وعلى الرغم من أن التصوف سلوك وممارسة وليس علما بحدّ ذاته غير أنه ظاهرة عرفها المجتمع وتأثر بها، وظهر أعلام من المتصوفة تنقلوا بين المغرب والأندلس وعكست محتويات مصنفاتهم حرية لم يتمتعوا بها في عهد الدولة المرابطية [4]، و ذاع صيت الصوفية في بلاد المغرب خلال عهد الدولة الموحدية بسبب اهتمامها بنشر المعارف و الفلسفة، فظهر رجال صوفيون ذوو علم ذاع صيتهم في الآفاق منهم أبو الحسن الشاذلي في تونس[5]، و أبو مدين شعيب[6] في الجزائر كما عرف المغرب

---

[1]- المنوني محمد ، **العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين** ، الرباط، دار المغرب ، ط2 ، 1977 ، ص: 56

[2]- بوتشيش إبراهيم القادري، **المغرب و الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ،بيروت ،دار الطليعة للطباعة و النشر،دط،1993،ص:195

[3]- بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7الهجريين /12و13 الميلاديين**. عين مليلة، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع ،

[4]- حاكمي الحبيب ، المرجع السابق ، ص: 79

[5]- الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج2 ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، دط ، د ت ، ص: 347

[6]. **أبو مدين شعيب** :شعيب بن حسين الأنصاري من مواليد الأندلس عام 116م، غادرها صغيرا متوجها إلى طنجة ثم سبتة فمراكش و فاس، و استقر أخيرا ببجاية حيث انشغل بالتعليم و العبادة و الوعظ ،عر بورعه و زهده و مثل قطبا من أقطاب الصوفيه ، توفي عام 1198م،انظر:ابن الزيات أبي يعقوب بن يحي التادلي ، **التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي** ،تح :أحمد التوفيق ،الرباط ،كلية الآداب،ط 2،ص ص: 319- 321

الأقصى الكثير من المتصوفين الذين حظوا بتعظيم و تقديس من المجتمع حيث أصبحوا الملجأ و الملاذ حين تنزل بالناس أزمة أو شدّة ومن بين هؤلاء المتصوفة الشيخ أبي يعزى [1]، ولشدّة تعلق الناس بالصوفية رسخت في نفوسهم قدرة المتصوفين على شفاء المرضى بسبب تلك الروايات و الأخبار التي وردت عنهم والتي جعلت من المتصوفة أولياء يزدحم النّاس على أبوابهم و يقبلون أيديهم تبركا بهم[2].

وحمل المتصوفة على عاتقهم مسؤولية إصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية وغيرها للمجتمع، ومحاربة ظاهرة التفسخ و الانحلال الأخلاقي فعبروا عن رفضهم من خلال رموزهم واستخدموا المكاشفات أو ما يعرف بالرؤية بالقلب فقد روي عن أبي يعزى أنّه امتلك كرامات بعضها قد يصنف من الخوارق منها ما رواه التادلي من أنّه كان يستسقي للنّاس فينزل المطر ويعلم سرائر النّاس ويتنبأ بالغيب، حتى أنه روض الأسود وكان يضرب الأسد ويشده من أذنيه ثم يركبه هو و أصحابه [3] كل هذه الكرامات جعلت الناس تخاف الرجل وتأخذ بركاته، وتبقى هذه الكرامات روايات تم تداولها تحتمل الصواب والخطأ وان كان بعضها مناقضا للعقل و المنطق ، وعلى الصعيد السياسي سعى المتصوفة بكراماتهم إلى إنشاء مجتمع خال من الظلم والاضطهاد فأصبحت تشكل فيما بعد الوسيلة الفعالة للدفاع عن المحرومين من ظلم السلطة و استبدادها [4].

أمّا بالنسبة لتعامل الموحدين مع المتصوفة فقد وصفت مرحلة حكم الموحدين للمغرب الإسلامي بعصر الاعتراف بالصوفية ،فأخلاق الخلفاء الموحدين كانت أقرب إلى الزهد و التصوف فالخليفة عبد المؤمن بن علي تعلم الصوفية على يد الشيخ الصوفي أبو محمد عبد السلام التونسي، و ابنه الخليفة أبا يعقوب يوسف عرف بزهده و تقلله ف المأكل و لباسه الخشن وفي ذلك تشبه بالصوفية و كان يسأل الصالحين الدعاء حتى انتشروا في عهده، أما يعقوب المنصور و المستنصر و من تبعهم فكانوا مبجلين

---

[1]. **أبو يعزى**: شيخ الصوفية في المغرب هو بلنور بن عبد الله أبو يعزى ،اشتهر بكراماته العظيمة ،و قال عنه تلميذه أبو مدين: رأيت أخبار الصالحين ما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، انظر: التادلي ،المصدر السابق ،ص : 213،214)

[2]- علي حسن الحسن ، المرجع السابق ، ص:476 ، 477

[3]. التادلي ،المصدر السابق ،ص ص:220،213

[4]- بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين / 12 و 13الميلاديين، المرجع السابق، ص:197

للصوفية كذلك، واستفاد الصوفية من إغداق الموحدين عليهم بالرواتب و منحهم الأراضي ليسترزقوا منها فالخليفة عبد المؤمن أمر بمنح الصوفي أبي نجم هلال بن يونس الغبريني أرضا زراعية ليسترزق منها، لكن هل كان تقرب خلفاء الدولة الموحدية من المتصوفة حبا في التصوف أم أنّ له أهدافا باطنية ؟

لقد هدف الموحدون من خال مهادنة المتصوفة في المغرب إلى تكريس المذهب الظاهري فالمتصوفة الذين استفادوا من كرم الخلفاء عليهم كانوا يتبعون المذهب الظاهري و هو مذهب الدولة الموحدية وكان لا بد من دعمهم للقضاء على مذهب مالك الذي هو مذهب العامة في المغرب كما سعوا كذلك من خلال دعمهم الصوفية إلى كسب القبائل و رضا العامة حتى يستتب الحكم الموحدي في المغرب [1].

لكن هذه الساسة السلمية لم تكن مع كل تيارات المتصوفة خاصة أصحاب تيار التصوف السني الفلسفي ومنهم الاتجاه الباطني الذي استخدمت معهم الدولة الموحدية كل الوسائل للقضاء عليه بما فيها العنف وتحويلهم عن المذهب المالكي، ومن المتصوفة من هدد أركان الدولة الموحدية من بينهم المتصوف أبو علي حسن المسيلي الذي عاصر عهد ثلاث خلفاء موحدين هم عبد المؤمن بن علي وأبا يعقوب يوسف ويعقوب المنصور، والذي كان يشتغل بالجامع الأعظم ببجاية على نهي الناس عن المنكر وإقناعهم بالحجج حتى أصبحت كل القضايا ترفع إليه من طرف العامة الذين استغنوا عن قضاة وفقهاء الموحدين، وهنا أدرك الخلفاء خطورة المتصوفة، وبدؤوا يمارسون الضغط عليهم فوالي بجاية حذر أبا الحسن من الخوض في الأمور السياسية وطلب منه الانشغال بأموره الخاصة وعدم التدخل في شؤون الناس[2]، وقد صادفت فترة حكم عبد المؤمن بن علي قيام ثورة ابن هود الماسي في المغرب الأقصى عام 542هـ/1148م وكان زعيمها صوفيا ادعى الهداية والتف الناس حوله ولم يبقى بيد الموحدين غير مراكش[3]،ما يعني أنّها هدفت إلى إسقاط الدولة الموحدية لأنّ عبد المؤمن بن علي في هذه الفترة كان لا يزال في مرحلة ارساء لدعائم دولته، وهنا نكتشف مدى خطورة ثورة المتصوفة في

1. بونابي الطاهر، ،المرجع السابق،ص:200،201
2. المرجع نفسه،ص:137،201،202
3. ابن أبي زرع الفاسي ، المصدر السابق،ص:190

المغرب و قد انتهت تلك المعركة بمقتل ابن هود الماسي وأتباعه [1]، كما أثارت المكانة التي تمتع بها الصوفيون والتفاف النّاس حولهم حفيظة بعض الفقهاء حيث سعى بعض الناقمين بالمتصوف أبي يعزى فاستدعاه الخليفة عبد المؤمن وحبسه فترة ثم أخلى سبيله حين تأكّد من براءته، وكانت حجة هؤلاء الفقهاء قوية من خلال تخويف الحكام الموحدين من نفوذ المتصوفة والتفاف النّاس حولهم ما يشكل خطرا على أمن الدولة ،كما عارض الفقهاء الموحدون أيضا اشتغال بعض المتصوفين بمداواة المرضى النساء و عدوا ذلك خروجا عن أحكام الدين وأنكروا ما يصنعه أبو يعزى بالنسبة للمرضى النساء[2]، وقد قيل للشيخ أبي يعزى أنّ فقهاء فاس أنكروا عليه لمس صدور النساء والنظر إليهنّ فكان رده أنه كما يجوز للطبيب عندهم لمس تلك المواقع عليهم أن يعدوه واحدا منهم يلامس ذوات العاهات للتداوي[3].

ولقد أدرك يعقوب المنصور بحكم تجربته وحنكته السياسية مدى خطورة فئة المتصوفة على حكم البلاد و سلطة الموحدين فيها، ومن خلال اطلاعنا على شخصية الخليفة المنصور لا يبدو أنّه ممن يختار سياسة المهادنة اتجاه الخصم غير أنّ مهادنته للمتصوفة كانت ضرورة وليسا خيارا فقد كان من الصعب على المنصور مواجهة خصمين ذوا نفوذ في آن واحد فقد قمع المالكية لكن كانت معاداة الصوفية ستشكل خطرا على حكمه، و لتفادي خطرهم عمل لأجل التقرب منهم وكسب تأييدهم وذلك بغرض نيل رضا ومحبة الطبقة الاجتماعية، وهناك من يرجع سر تلك العلاقة الطيبة بين المنصور والصوفية إلى تأثر الخليفة الموحدي بالعلماء والصلحاء وتخوفه من سخطهم، لذلك نجد أنّ مختلف الكتابات والدراسات تصف يعقوب المنصور أنه كان محبا للعلم والعلماء من خلال إعلاء شأنهم في المجتمع و قيامه بالعديد من الأعمال التي من شأنها كسب ود المتصوفة الذين أصبحوا يشكلون قوة موازية للسلطة الحاكمة حيث أصبح لهم بعدا اجتماعيا يتطور مع مرور الزمن ليصبح ذا تأثير سياسي، وبالتالي زيادة فرص انقلابهم في أي وقت على حكم المنصور، لذلك كان من الأفضل استقطابهم

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 6 ، ص: 310

[2]. علي حسن الحسن، المرجع السابق، ص :478

[3]- التادلي، المصدر السابق، ص214:

واحتوائهم وزيادة درجة التقارب معهم لكنّه كان شديدا مع المتصوفة الذين شكلوا خطرا على أمن الدولة فقد تعرض الصوفية الذين بايعوا ابن غانية في بجاية إلى التنكيل والعزل من مناصبهم ومنهم أبو علي حسن المسيلي الذي عزل من منصب القاضي الذي شغله في عهد يعقوب المنصور، ضف إلى ذلك وشاية الفقهاء بالمتصوف أبي مدين شعيب الذي كان معارضا للسياسة الموحدية في عهد المنصور وناقما على تردي الأوضاع وتفسخ الأخلاق في المجتمع حيث كان يتهم الموحدين بالجور من خلال قوله: "بفساد العامة يظهر ولاة الجور" [1]، وخاطب العلماء الخليفة المنصور قائلين له:"إنّه يخاف منه على دولتكم فإنّ له شبها بالإمام المهدي و أباعه كثيرون في كلّ بلد"، فأمر المنصور بإحضاره لولا أن المنية سبقته إليه[2]. أما علاقة الخليفة المأمون بالمتصوفة فعلى ما يبدو أنّه كان على خلاف معهم و من بينهم أبي زيد بن يخلفتن الفازازي الذي اشتهر بميله إلى طريق التصوف كما كان كاتبا للخليفة للمأمون ويشير الكثيرون إلى أن تعيينه في هذا المنصب كان ضد إرادته، وقد أصابته جفوة من الخليفة في أخريات حياته اضطرته إلى ملازمة بيته حتى وفاته سنة 626هـ/1230م[3].

ومن خلال ما سبق يمكن تقسيم علاقة الموحدين بالمتصوفة إلى مرحلتين: مرحلة تميزت بالتقارب مع المتصوفة لأغراض مذهبية وسياسية، ومرحلة ثانية تميزت بالقمع اتجاه التيارات الصوفية التي هددت استقرار الحكم الموحدي في بلاد المغرب.

المبحث الثاني: الانحرافات العلمية في الأندلس

1 . نكبة ابن رشد في عهد المنصور:

تعتبر الفلسفة كغيرها من العلوم والمظاهر التي انتشرت وظهرت بقوة في عهد الدولة الموحدية بسبب تطور العلوم والمعارف و إقبال النّاس على البحث و الإطلاع ونبغ و ظهر الكثير من هؤلاء العلماء

[1]- بونابي الطاهر، المرجع السابق،ص:201،119

[2]. علي حسن الحسن ،المرجع السابق،ص:479

[3]- جدو فاطمة الزهرة، المرجع السابق، ص: 134.

وأكثرهم الفيلسوف ابن رشد [1] الذي عرف كيف يعطي للبحث الفلسفي والعقلاني مظهرا لاهوتيا عندما اعتمد على القرآن والسنّة ، وهو يلاحظ مع ذلك أنّه مع هذا العلم فربما ضللنا عن سبيل الله لأنّنا نجد أحيانا تضاربا مع القانون الإلهي وعند هذه النقطة يكون موافقا مع السنّة التي تنص على ضرورة الاعتقاد وحتمية الإيمان ففي نظره لا يوجد في ذلك تناقض، و تختلف فلسفة ابن رشد اختلافا كبيرا مع المذاهب الدينية الأخرى في العديد من النقاط كتعاليم ابن تومرت ومذهب الأشاعرة والظاهرية والمالكية حيث نظرته للمسائل الدينية تختلف عنهم اختلافا كبيرا[2].

ولقد تمتع ابن رشد بمكانة وحظوة عظيمة لدى الخليفة المنصور وتقلد في ذلك العديد من المناصب وبسبب هذا فقد كان يقضي معظم أوقاته في البلاط الموحدي، وبلغ تعظيم المنصور لابن رشد لدرجة أنه كان يجلس إلى جانبه مباشرة ويتعدى بموضعه مواضع أشياخ الموحدين الأكابر [3]، وبطلب من المنصور كلف الفيلسوف ابن طفيل صاحب كتاب " **حي ابن يقضان** " ابن رشد بشرح مؤلفات أرسطو طاليس والتي منها كتاب "الحيوان" و"تلخيص الخطابة" [4]، وعند شرحه كتب الحيوان هذبه وقال فيه عند ذكره الزرافة قال : «رأيتها عند ملك البربر» قاصدا المنصور غير ملتفت إلى ما يتعاطى خدمة الملوك من التعظيم [5]، وأخذ خصومه بعض التلاخيص فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة "أن الزهرة أحد الآلهة "، وقبل حركة المنصور إلى الأندلس قدم عليه بمراكش سنة 590هـ/1193م جماعة من الأندلسيين الناقمين على ابن رشد و بسبب اشتغاله بمعركة الأرك لم يولي لهم اهتماما وبعد انتصاره في المعركة واستقراره بقرطبة تجددت شكاوى بعض المعارضين لعلوم الفلسفة[6] من الحفاظ والطلبة والفقهاء الموحدون الذين كانوا ينقمون آراء ابن رشد ودراساته الجدلية

---

[1]- **ابن رشد** : هو محمد بن أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن رشد ، ولد بقرطبة عام 487هـ / 1094م ينتمي لأسرة ذات وجاهة في الأندلس، ينظر: عبد الرحمن التليلي ، **ابن رشد في المصادر العربية** ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2002م ، ص: 15.

[2]- مزوزية حداد، المرجع السابق، ص ص 107 . 108

[3]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 223 ،224

[4]- الحبيب حاكمي، المرجع السابق، ص: 88

[5]- عبد الرحمن التليلي، المرجع السابق، ص: 121

[6]- أحمد العزاوي، المصدر السابق ص 206

والفلسفية وبالأخص ينقمون على منزلته من الخليفة، ولأنّ الحفظة والطلبة كان لهم مكانة ونفوذا لدى الخليفة فقد كانوا يرمون ابن رشد بالمروق وخروجه عن أحكام الشريعة وإيثاره فيها لحكم الطبيعة لأن الفلسفة تنافي أمور الدين والعقيدة وبهذا فقد وجد خصومه في صميم دراساته وكتاباته مواد اتهامهم[1].

وعلى إثر ذلك استدعى المنصور ابن رشد في جمع ضمّ رجال الدين والرؤساء والأعيان بالمسجد الجامع الأعظم بقرطبة و سئل ابن رشد إن ما كتب بخط يده فأنكر ذلك فقال المنصور: "لعن الله كاتبه"، وأمر الحاضرين بلعنه ثم أمر بإخراجه مهانا وبإبعاده، فأبعد إلى قرية أليسانة وفرضت عليه الإقامة الجبرية هناك وكان ابن رشد وقتها قد جاوز السبعين من عمره، وقضي على زملاء الفيلسوف منهم أبو جعفر الذهبي والفقيه أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم المهري وأبو عبد الله بن مروان القاضي وغيرهم بالنفي إلى جهات أخرى، ولم يكتف المنصور بإيقاع العقوبة المادية على المتهمين بترك علوم الفلسفة وإحراق كتبها سوى الطب والحساب والمواقيت [2]، ووجه المنصور كتابا في هذا الموضوع من إنشاء كاتبه أبي عبد الله بن عياش إلى مراكش وغيرها من قواعد المغرب والأندلس وهذا بعض ما جاء فيها «...وقد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام، وأقر لهم عوامهم بشفوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعو إلى الحي القيوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه و المعلوم، فخلدوا في العالم صحفا ما لها من خلاق، مسودة المعاني والأوراق، بعدها من الشريعة بعد المشرقين، وتباينها تباين الثقلين، يوهمون أنّ العقل ميزانها ، والحق برهانها، وهم يتشعبون في القضية الواحدة فرقا ، ويشيدون فيها شواكل وطرقا، وبأنّ الله خلقهم للنار، وبعمل أهل النار يعملون ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرونَ "، ونشأ منهم في هذه السمحة البيضاء شياطين إنس "يخادعون الله والذين آمنوا و ما يخادعون إلّا أنفسهم و ما يشعرون "، "يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربّك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون " فكانوا عليهم أضرّ من أهل الكتاب، وأبعد من الرجعة إلى الله... لأن الكتابي يجتهد في ضلال، ويجدّ في كلال،

[1]- عبد الله عنان محمد، ص:224

[2]- عبد الرحمن التليلي، المرجع السابق، ص:120. 121

وهؤلاء جهدهم التعطيل وقصاراهم الغمومة والتخييل، دبّت عقاربهم في الآفاق برهة من الزمان ، إلى أن أطلعنا الله سبحانه منهم على رجال كان الدهر سالمهم على شدّة حروبهم ، و أغفى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم و أملي لهم إلّا ليزدادوا إثما، وما أمهلوا إلا ليأخذهم "الله الذي لا إله إلّا هو وسع كلّ شيئ علما " ... فلما أراد الله فضيحة عمايتهم وكشف غوايتهم، وقف لبعضهم على كتب مسطورة في الضلال، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشمال، ظاهرها موشح بكتاب الله وباطنها مصرح بالإعراض عن الله...فاحذروا، وفقكم الله، هذه الشرذمة على الإيمان حذركم من السموم السارية في الأبدان ومن عثر له على كتاب من كتبهم فجزاؤه النار التي بها يعذّب أربابه وإليها مآل مؤلفه وقارئه ومآبه...والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ويكتب في صحائف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنّه منعم كريم...» [1]. وتبنى بذلك المنصور موقفا معاديا للفلسفة ووصف أتباعها كما تضمنت الرسالة بأصحاب الضلال وأصبحت على إثر ذلك من العلوم المحرمة. لكن بعد ثلاث سنوات من سجن ابن رشد ومن معه وبعد شفاعة أعيان إشبيلية له عند الخليفة بأنّه اتهم زورا عفا عنه المنصور وعن سائر جماعته سنة 595هـ/1198م،ليعود ابن رشد مجددا إلى البلاط الموحدي لكن لم يدم ذلك سوى مدّة يسيرة حيث توفي ابن رشد في نفس السنة ، وبسبب نكبة ابن رشد أصبح هناك تضييق على الفلسفة وممارسيها[2].

2 . علم الفروع وفقهاؤه:

كانت الأندلس منذ القرن التاسع ميلادي معقلا للمالكية وقاعدة للسنية، وقد لقي هذا المذهب الجديد الذي حل محل المذهب الأوزاعي تأييدا رسميا من حكام البلاد منذ دخوله ولم يستطع الأندلسيون توجيه نشاطهم في مجال الكلام والفقه سوى نحو رسائل الفروع والتمسك الدائم بالتقليد، وقد اكتسب فقهاء المالكية نفوذا داخل المجتمع الأندلسي خلال عهد المرابطين واستمر ذلك في العهد الموحدي[3]، وكنا قد تطرقنا في المبحث السابق عن محاربة الموحدين لعلم الفروع في بلاد المغرب وامتد

[1] – محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص: 226 ،227

[2] – المرجع نفسه، ص ص226 . 227

[3] –كولان ج.س، **الأندلس** ، تر: ابراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، بيروت، دار المعارف الإسلامية ،ط1980،1،ص:148،147.

ذلك إلى بلاد الأندلس التي تعتبر موطنا للمالكية غير أن العداء الشديد لدولة الموحدين اتجاه مذهب الإمام مالك وفقهائه الداعين إليه يجعلنا نتساءل عن سر ذلك العداء ؟

في الحقيقة فإنّ الدارس لسياسة الدولة الموحدية يجد أنّ عداء المالكية و محاربتها لم يبدأ مع عبد المؤمن بن علي، بل يعود لمؤسس الدولة الأول المهدي ابن تومرت الذي و منذ بداية دعوته كان متأثرا بمذهب الإمام ابن حزم الظاهري، وعلى ذلك يمكن ارجاع هذا العداء لسببين:

الأول اعحاب ابن تومرت بالظاهرية ودعوته للأخذ بظاهر القرآن والسنة ونبذه لعلم الفروع القائم حسبه على التقليد دون اجتهاد دعوته"[1].

والثاني أن علم الفروع كان مذهب المرابطين الذين وصفهم ابن تومرت دائما بالانحراف من خلال نعتهم بالكفرة الملثمين واتهامهم بالتجسيم وادعاء العلم، وحقده على فقهاء المالكية الذين أرادوا قتله[2]، ويرى البعض خاصة من المستشرقين أنّ ما يثبت ظاهرية ابن تومرت على حساب المالكية هو جوازه على الأندلس في طريق رحلته نحو بلاد المشرق، ولم يتوانى بن تومرت في مناظرة فقهاء المالكية لإثبات انحرافهم حينما دعي للبلاط المرابطي أيام حكم الأمير علي ابن يوسف ومن بينهم الفقيه أيا عبد الله مالك بن وهيب الأزدي الإشبيلي [3]، ولم يتمكن الفقهاء خلال تلك المناظرات من مجاراة حجج المهدي ابن تومرت[4] حتى تجرأ الأخير لمخاطبة أمير المرابطين بأنه من الواجب عليه إحياء السنة وإماتة البدعة[5] ويبدو بأنه قصد بذلك إهمال المرابطين لكتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه و سلّم.

---

[1]. بكير محمود أحمد، **المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب**. بيروت، دار قتيبة، ط1،1990،ص64

[2]- المراكشي، المصدر السابق، ص285

[3]. فقيه وحافظ وأديب جمع بين المنقول و المعقول استقدمه الأمير المرابطي إلى حضرة مراكش، ينظر: الضبي، **بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1،1989،ص405:

[4]- بولطيف لخضر محمد، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي** . فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 1، 2009، ص:91

[5]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:174

و قد حمل ابن تومرت مسؤولية الفساد الذي عم المجتمع عهد المرابطين لفقهاء المالكية الذين وطّدوا حكمهم[1]، و لم يخرج من خلفه من بنيه عن ذلك الموقف المعادي للمذهب المالكي وفقائه وهو ما سنتعرض له بوجه من التفصيل، وبعد بسط الموحدين لنفوذهم على بلاد المغرب وسقوط دولة المرابطين وجهوا تركيزهم نحو الأندلس وكانت مدينة إشبيلية أول ما فتحه عبد المؤمن بن علي عام 541هـ/1147م، وقد اتهم الموحدون بتصفيه فقهاء المدينة حيث يعترف ابن عذارى أنه أثناء دخول الموحدين قتل الفقيه أبو عمر الياناقي وعبد الله ابن القاضي المالكي أبا بكر ابن العربي وان كان قد ذكر أن مقتل الفقيه الثاني كان بغير قصد، كما تم التنكيل بأهل المدينة[2].

ولما توجه وفد من أهل المدينة يترأسهم القاضي أبا بكر ابن العربي لبيعة الخليفة عبد المؤمن في مراكش سنة 542هـ/1148م كاد أن يتمّ قتلهم في الدار التي نزلوا بها بسبب أخبار روجت لتمرد أهل إشبيلية على الموحدين، ويقال أنّ الوفد مكث قرابة العام و نصف ليقابل الخليفة [3]، وفي أثناء العودة مات ابن العربي عند وصوله لمدينة فاس وقيل أنّه سمّ بين فاس وسبتة [4] وعند تنازل يحي ابن غانية صهر ابن مردنيش عن قرطبة لم يتردد جنود المصامدة كعادتهم عن عمليات القتل والنهب واستهدفوا فقهاء الذين الذين فر بعضهم ونجا بأعجوبة في حين فقد البعض ولم يعرف مصيرهم منهم الفقيه أبا الحسن بن البقري الغرناطي [5].

---

[1]- بولطيف لخضر، المرجع السابق، ص:175

[2]. ابن عذارى، المصدر السابق،ص:116

[3]. بولطيف لخضر، المرجع السابق،ص:169،167

[4]. الزركشي محمد ابن ابراهيم اللؤلؤي، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية** ، تح: الحسين اليعقوبي، تونس، المكتبة العتيقة ،ط1998،1،ص:80.

[5]. بولطيف، المرجع السابق، ص162

أبو الحسن بن البقري الغرناطي: فقيه محدث من أهل غرناطة وله تصانيف عديدة تشهد على علمه. ينظر: لسان الدين الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**. مج: 4، تح: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1 ،1977.

لكن أفظع ما حدث لفقهاء المالكية كان بعد فتح الموحدين لمدينة لبلة [1] في 549هـ/1155م حين دخل قائد الجيش يحي بن يومر وأخرج أهلها وصفهم ثم أمر بقتلهم جميعا وقتل منهم الفقهاء من بينهم الفقيه أبو الحكم بن بطال والفقيه أبي العامر ابن الجد كما سلبت أموالهم وأملاكهم، ويذكر صاحب روض القرطاس أن ما حدث كان دون علم الخليفة عبد المؤمن، (وقد بقيت هذه المجزرة نقطة سوداء في التاريخ الموحدي بالأندلس)، وفي عام 550هـ/1156م أمر الخليفة بإصلاح المساجد وبنائها و تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد النّاس لقراءة الحديث وكتب بذلك إلى طلبة المغرب وكذلك الأندلس[2].

وفي إطار محاربة عبد المؤمن لعلم الفروع عقد العديد من المناظرات بين المالكية وفقهاء المذهب الظاهري نصرة للأخير حتى أنه أعتمد على حجج ابن حزم في المناظرة [3] وهو ما يؤكد ظاهرية الدولة الموحدية. وما جعل الدولة الموحدية تتمادي في قمع فقهاء المالكية هو ذلك الموقف الذي اتخذه هؤلاء من حيث عدم الاعتراف بالمهدية التومترية و من بينهم الفقيه ابن الزيات التادلي الذي لم يذكر أي سيرة لخلفاء الموحدين في كتابه " التشوف " ،ووصل بهم الحد على الدعوة لمبايعة الخلافة العباسية و لمعاداة الدولة الموحدية [4]و التشكيك في أحقية الموحدين بالخلافة على المسلمين فها هو القاضي الفقيه أبو القاسم أخيل بن إدريس الرندي يتعدي إلى قوله عن عبد المؤمن بن علي "كيف تصبح له الخلافة و هو ليس بقرشي " و بسبب ذلك نفي إلى مدينة مكناس. وبسبب تلك السياسة القائمة على تنكيل و قتل و نهب فقهاء علم الفروع فرّ العديد منهم نحو مناطق أكثر أمنا و كانت وجهتهم إمّا المشرق العربي أو بلاد المغرب مع استمرارية نشاطهم الفقهي ومن بين هؤلاء الفقيه أبي عبد الله بن لواء الجياني الذي ارتحل إلى بلاد فاس لتدريس الفقه هناك ،لكنّ بعض الفقهاء آثروا البقاء في وطنهم و إعلان الثورة على الموحدين إذ كانت الشرارة الأولى لثورة الفقهاء قد انطلقت من مدينة قرطبة عام

---

[1]. **لبلة**: مدينة قديمة تق ع إلى الغرب من اشبيلية و هي مدينة برية بحرية، غنية بالثمر و الزرع تعرف بلبلة الحمراء (مؤنس حسين، **فجر الأندلس**. القاهرة، دار الرشاد، ط2، 1985، ص: 92.

[2]. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 195

[3]– عبد الباقي السيد الهادي، **تاريخ أهل الظاهر**، القاهرة، دار الآفاق العربية ،ط1، 2014،ص57

[4]. صديقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص111

539هـ/1145م وتوجه معظم الفقهاء إلى التمركز في منطقة نفوذ ابن مردنيش [1] في شرق الأندلس، وأخر هذا التحالف بن المالكية و ابن مردنيش من سيطرة الموحدين على شرق الأندلس مدة ربع قرن حتى وفاة ابن مردنيش عام 567هـ/1172م[2].

ومن خلال دراستنا لعلاقة عبد المؤمن بن علي مع فقهاء المالكية بالأندلس نجده قد سلك سياسة قمعية ترهيبية، وقد يعزى ذلك إلى تخوف الخليفة الموحدي من خطر فئة الفقهاء على السلطة الموحدية بالأندلس وهو ما كشفتهم ثوراتهم التي أرهقت الموحدين وأخرت توسعهم، فهل ستتمر هذه السياسة مع بني عبد المؤمن بن علي ؟

ما إن وصل أبا يعقوب يوسف إلى الحكم خليفة لأبيه (558 ـ 580هـ/1163ـ 1184م) والذي عرف بورعه وعدله وحسن سيرته، حتى انتهج سياسة متسامحة مع الفقهاء في الأندلس التي طال مكوثه بها فكانوا يجالسونه ويسامرونه وأقربهم إليه كان الفقيه أبا بكر بن الجد الإشبيلي، كما قلد بعضهم المناصب كتعيين الفقيه المالكي عبد الرحمن بن غافر اللبلي كأول خطيب بالجامع المكرم بإشبيلية سنة 567هـ/1172م، (وكأنه أراد بذلك تقديم اعتذار عما حدث للفقهاء المالكية في مجزرة لبلة التي سبق ذكرها ويبقى هذا مجرد رأي)، لكن مع كل هذا التسامح واصل الخليفة الموحدي مواجهة الفقهاء المتحالفين مع ابن مردنيش[3]،كما حرص على دفع الناس إلى التمسك بظاهر الكتاب والسنّة ومحو مذهب مالك، وهو ما تشهد به قصته مع أبي بكر بن الجد الإشبيلي[4] حينما قال له: "يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هي الحق وأيهما يجب أن يأخذ به المقلّد يا أبا بكر، ليس إلّا هذا وأشار إلى المصحف، أو هذا و أشار إلى كتاب سنن أبي

---

1. **ابن مردنيش:** محمد بن سعد الجذامي ، قائد الجند، أصبح أميرا على شرق الأندلس بعد فشل ثورات القضاة الذين تآمروا ضده . ينظر: الذهبي أبو عبد الله شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**. ج: 20، عناية حسان عبد المنان، لبنان، دار الأفكار الدولية، 2004، ص: 242.240

2. بولطيف، المرجع السابق،ص:181-194

3. ابن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص ص: 209- 211

4. **أبو بكر بن الجد** : أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحي بن فرج بن الجد الفهري اللبلي ثمّ الإشبيلي المالكي، ولد عام 496هـ علامة حافظ خطيب وهو فقيه الأندلس في وقته ، توفي عام 586هـ، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج: 21، ص: 177.

داوود، أو السيف [1] ولجأ كأبيه إلى المناظرات منها ما وقع بينه وبين الفقيه أبا بكر بن الجد الإشبيلي[2].

أما عهد يعقوب المنصور فقد انقطع خلاله علم الفروع كما جاء في المعجب [3]، ودعا النّاس للرجوع إلى علم الأصول بالكتاب والسنّة واستغل خلال ذلك ما وجده من خلافات في كتب المذهب المالكي ليتمكن من محوه على أساس تناقضاته تكشف عدم صحته وعمل لأجل القضاء على نفوذ المالكية الذين كانوا محلّ إجلال لدى العامة [4]، حتى أنّه أمر بتحريق كتب الفروع وكنا قد ذكرنا ذلك سابقا مع أمره بجمع الأحاديث من كتب الحديث منها صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، وتوعد كلّ من خالف واشتغل بالفقه المالكي بالعقوبة الشديدة منها القتل وتعرض فقهاء المالكية في عهدة لمواقف مهينة كالضرب بالسياط وحتى إلزامهم بالأيمان المغلظة بأن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه، وعلى إثر هذا التشديد والوعيد ظهر فئة من الفقهاء العظام الذين أصبحوا يستنبطون الفقه من الكتاب والسنة النبوية وشجعهم المنصور على ذلك، وهو الذي ألزم العلماء على الاجتهاد واستنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس[5] .

و أمام قمع الموحدين لفقهاء علم الفروع وصل فقهاء الظاهرية إلى أعلى المناصب في الدولة منهم الفقيه الغرناطي أبو سليمان بن حوط الله الذي ولي قضاء إشبيلية و قرطبة و مرسية و سلا و غيره في محاولة لتمكين المذهب الظاهري في الأندلس على حساب المالكية [6]، غير أنّه و بعد هزيمة حصن

[1]- عبد المجيد النجار ، **المهدي ابن تومرت**، المرجع السابق، ص 488

[2]. عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص:232

[3]. المصدر نفسه ،ص:288

[4]-حسن علي حسن، المرجع السابق،ص:467

[5]- المنوني محمد، ،المرجع السابق،ص:50-53

[6]- آنخل جنثالث بالنتيا ،**تاريخ الفكر الأندلسي** ،تر: حسين مؤنس، مصر مكتبة الثقافة الدينية ،دط ،دت ،ص: 438

العقاب عام 608هـ/1212م بدأ أفول نجم الموحدين في الأندلس و معه بدأ سعي فقهاء المالكية لاسترجاع مكانتهم و يأملون بعودة علم الفروع إلى ما كان عليه من ازدهار قبل مجيء الموحدين[1] .

3 . انحرافات المتصوفة:

اختلف الكثير من الباحثين في أصل كلمة التصوف و اشتقاقها فهناك ممن قال أنّها اشتقت من الصفّة و أنّ أصل الطريقة الصوفية مأخوذ من أهل الصفّة وهم المهاجرون الذين سكنوا في صفّة المسجد النبوي منهم أبو هريرة الدوسي وأبي الذر الغفاري و بلال الحبشي، ومنهم من قال أنّ أصل التصوف مشتق من الصفاء، في حين أرجعها آخرون إلى لباس اختص به أهل التصوف وهو لباس الصوف أحيانا تقللاّ وتزهدا منهم، وكما اختلف المؤرخون في أصل التصوف فقد اختلفوا كذلك في تاريخ دخوله إلى بلاد الأندلس، لكنّ معظم الدارسين للتصوف يرجعون انتشار الصوفية في الأندلس إلى القرن 4هـ/10م مع أعلام الصوفية أولهم المتصوف ابن مسرة الذي ارتبطت به مدارس عديدة ازدهرت خلال القرن الخامس هجري بالأندلس [2]، أمّا انتشار بؤر الصوفية في الأندلس يعود إلى القرن 6هـ/12م والتي امتدت من الشرق إلى الغرب وأهمّها كانت مدرسة المرية في الجزء الشرقي التي ترأسها المتصوف ابن ابن العريف [3] وفي تلك المنطقة التقت مختلف التيارات الفكرية. وأطلق أتباع الطرق الصوفية على أنفسهم لقب المريدين الذين انقسموا بدورهم إلى ثلاثة أصناف، تميز الصنف الأول منهم بالالتزام بالكتاب والسنّة على رأسهم ابن العريف، أمّا الصنف الثاني فمال إلى المذهب الظاهري وتزعمه أبو بكر محمد بن الحسين الميورقي[4].

---

[1]–بن عياش الطاهر، **الفقهاء المالكية و السلطة الموحدية في المغرب الإسلامي (510. 668هـ /1116. 1269م)**، رسالة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 2015/2014، ص: 90

[2]. جورج كتورة، "**التصوف والسلطة**". مجلة الاجتهاد، السنة 3، ع: 12، 1991، ص:198

[3]– **ابن العريف**: هو أبو العباس ابن العريف أحمد أصله من طنجة ونشأ في المرية، عرف بالتعبد والزهد، توفي عام 537هـ. ينظر: التادلي، المصدر السابق، ص: 397

[4]. هو محمد بن الحسين بن أحمد بن يحي بن بشير الأنصاري أبو عبد الله و أبو بكر المعروف بالميورقي ينحدر من غرناطة أرتحل إلى الاسكندرية ثم مكة طالبا العلم من المشايخ الكبار، تاريخ وفاته غير معلوم لكن يذكره ابن الآبار بأنه كان قبا مولده بثمانين سنة، ينظر: ابن الآبار، **المعجم في أصحاب القاضي الإمام علي الصدفي** ، مصر، مكتبة الثقافة الدينية ،دط ،2000، ص: 139،140

أما الصنف الثالث فتميز بتطرفه وميله نحو المذهب الباطني وتزعمه بعض زعماء التصوف الفلسفي على رأسهم أحمد ابن القسي [1]، وبعدما كان متعارفا أن التصوف ميل ديني زاهد بعيد كل البعد عن إغراءات البلاط والسلطة، تغير مساره ليصبح تيارا سياسيا شكل خطرا على السلطة القائمة بما له من نفوذ، فبعد تراجع نفوذ المرابطين في الأندلس وبداية انتقال الحكم لسلطة الموحدين بزعامة الخليفة عبد المؤمن بن علي بدأت ثورة المريدين [2] التي قادها المتصوف المتطرف أحمد بن قسي والتي انطلقت عام 539هـ/1146م في غرب الأندلس بمدينة شلب، وادعى بن قسي أنه مهدي الموحدين وما أغضب الخليفة عبد المؤمن بن علي وأنه أي بن قسي على مذهب الإمام الغزالي وازداد في انحرافه ومروقه شبه نفسه بالنبي صلى الله عليه وسلم وادعى كذلك أنه صاحب كرامات حج في يوم واحد [3]، وهكذا انتقل ابن قسي من شيخ طريقة صوفية إلى زعيم سياسي شعبي يخطط للثورة، وهو صاحب كتاب "خلع النعلين" الذي أفتى العلماء بتحريمه وحرقه وحللوا قتل مؤلفه، واستخدم ابن قسي المكر والخداع ليوهم الناس كي يلتفوا حوله، وتمكن المتصوف المتمرد ابن قسي وأتباعه من السيطرة على حصن ميرتله عام 539هـ/1144م ثم دخل القصبة ومنها لقب نفسه بالإمام، وازداد زحف المريدين حتى وصلوا مدينة لبلة حيث تعرضوا للهزيمة على يد من تبقى من المرابطين [4] وبعدما تأزمت أوضاع ابن قسي توجه إلى الخليفة الموحدي عام 540هـ/1145م طالبا التوبة والدعم، وعند وصوله لحضرة الخليفة خاطبه عبد المؤمن الموحدي قائلا: بلغني أنك ادعيت الهداية، فكان جوابه: "أليس الفجر فجران كاذب وصادق، فأنا الفجر الكاذب"، فضحك الخليفة وعفا عنه، ويكشف لنا هذا عن مدى زيف وخداع ذلك الرجل الصوفي ،الذي يصفه صاحب المعجب أنّه ذا أخبار قبيحة مضمونها الجراءة على الله سبحانه [5] .و بعد سيطرة الموحدين على مدينة شلب أبقوا ابن قسي واليا عليها ،غير أنه سرعان

---

[1].-**ابن قسي** : أحمد بن الحسين بن قسي أبو القاسم ، رومي الأصل من بادية شلب ،ادعى الولاية و تسمى بالمهدي.(البيذق ،المصدر السابق،ص87)

[2] **المريدون** : جمع مريد و هو الذي عرف جلال الربوبية بالخضوع و التذلل إلى الله و العكوف على محبته و تعظيمه و إعراض القلب عمن سواه (حمدي أيمن،**قاموس المصطلحات الصوفية** ،القاهرة ،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،دط،2000)

[3]. جورج كتورة ، المرجع السابق،ص:199-201

[4]. دندش عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص71. 72. 73

[5]. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص:212

ما نقض البيعة للموحدين مستغلا ضعفهم بسبب الثورات والتمردات التي جرت عليهم في أقاليم غرب الأندلس التي تمردت وكذلك في بلاد المغرب، وسعيا منه لمدّ نفوذه اتصل بملوك النصارى عام 546هـ/1151م وبالتحديد بأحد ملوك البرتغال القريبين منه، فاعتبر من كان معه من المردين ذلك خيانة منه وقتلوه ليعلنوا البيعة والخضوع لسلطة الموحدين، ولم تكن ثورة ابن قسي هي الوحيدة التي كشفت مدى انحراف المتصوفة في الأندلس، فقد ذاع صيت التصوف خلال عهد الموحدين بشكل مخيف حين أصبح أصحاب الطرق الصوفية بمثابة قادة ومرشدين لأتباعهم لا يرفض لهم أمر، وخرج المتصوف من كونه عابدا وزاهدا وداعيا إلى طريق الله نحو طريق بعيد كل البعد عن الاعتدال حيث أصبح يقنع النّاس أنّه شخص مقدس وولي وعالم بالغيب، وحتى أنّه تحول لشفيع للنّاس فشيخ الطريقة الصوفية أصبح شفيعا لقبيلة بأكملها ،وكثر ادعاء الكرامات والمهدية وحتى النبوة، وبالتالي فقد أدخلت على الصوفية في عهد الموحدين بدعا هددت كيان المجتمع و شكلت خطرا على السلطة الموحدية[1].

لذلك نجد أنّ فترة عبد المؤمن بن علي تميزت بنوع من التعامل العنيف اتجاه فئة المتصوفة والحيطة والتخوف الدائمين من تمردها وهو ما كشفه تمرد ابن قسي الذي ادعى المهدية وكأنّه أراد من خلال ادعاءه نفي مهدية ابن تومرت التي بنيت عليها عقيدة دولة هي الدولة الموحدي، وبلغ تجاوز بعض المتصوفة إلى حدّ انتقاد الخلفاء الموحدين وحتى سبّهم و نذكر في هذا الإطار نموذج المتصوف أبا محمد عبد الله القطان، حيث يذكره تلميذه ابن العربي في كتابه "روح القدس" بأنّه كان شديدا في تعامله مع السلاطين، يردّ كلامهم في وجوههم أقبح رد و لا يخاف في ذلك لومة لائم و لا يهاب حتى القتل في ذلك، وبسبب تجاوزاته تلك تم سجنه ثم عرضه على الخليفة أبي يعقوب يوسف و الذي لم يسلم من نقده في حضور مجلس الوزراء و الفقهاء. ومع ذلك أمر الخليفة بإطلاق سراحه رغم أنّه تمرد على

[1]-جورج كتورة، المرجع السابق، ص:194-203

السلطة ويبقى سبب ذلك غير معروف وقد يكون اعترافا من الخليفة الموحدي بصحة ما دعا إليه ذلك المتصوف الزاهد[1].

وعلى الرغم من محاربة يعقوب المنصور للمذهب المالكي وفقهائه إلّا أنّه كان محبا للمتصوفة وهو ما تثبته موقعة الأرك عام 591هـ/1195م حيث اصطحب المنصور معه الفقهاء والصلحاء [2]، كما أن إقدام المنصور على حرق كتب الفروع زاد من محبة الصوفية إليه الذين رأوا في ذلك عقابا للمالكية على إقدامهم حرق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وهذه العلاقة الطيبة لا تنفي حذر وتوجس يعقوب المنصور الدائمين من خطر الصوفية، ولم يكن أمام الخلفاء الموحدين الذين أعقبوا المنصور و تميز معظمهم بالضعف، ومع بداية انهيار الدولة الموحدية التي أفل نجمها ببلاد الأندلس بعد هزيمتها المخزية في معركة حصن العقاب أمام النصارى، سوى الخضوع للمتصوفة ومحاولة استقطابهم خوفا من انقلابهم على السلطة[3].

وبذلك نستنتج أن سياسة الدولة الموحدية مع المتصوفة ارتبطت في أساسها مع أوضاعها السائدة فنجدها في مرحلة قوتها بادرت إلى قمع المتمردين منهم، أما في مرحلة ضعفها وانحطاطها فقد فضلت كسبهم ومهادنتهم لتجنب الصدام معهم، كما يتضح لنا من خلال دراسة مجمل الانحرافات العلمية التي شهدها الغرب الإسلامي تباين مواقف الخلفاء الموحدين من بعض الانحرافات العقدية من بينها عقيدة المهدية، وتبني سياسة معادية في المجمل لكل ما له علاقة ببقايا الحكم المرابطي في المغرب والأندلس خاصة ما تعلق بفقه الفروع.

[1]-جدو فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص:126-127

[2]. المصدر نفسه، ص:223

[3]- جدو فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص ص:130،129

خاتمة

لقد حاولنا من خلال موضوع دراستنا حول " **البدع و الانحرافات في الغرب الإسلامي على العهد الموحدي**" أن نتعرض لأهم الآفات التي عرفها المجتمع المغربي والأندلسي خلال الحكم الموحدي سواء الانحرافات على المستوى الاجتماعي أو العلمي، وتطرقنا لموقف الحكام الموحدين منها، فخلصنا إلى:

ـ كان لقيام دولة الموحدين بالغرب الإسلامي أثر كبير في توزيع العناصر السكانية فقبائل صنهاجة تغيرت مواطن سكناهم إذ خرجوا من المدن و حلّ محلهم المصامدة التي انتمى إليهم الموحدون.

ـ استحدث الموحدون طبقة جديدة لأجل تقليص نفوذ الفقهاء المالكية خوفا على نفوذهم في المغرب و الأندلس و تمثلت تلك الطبقة في الطلبة الذين تشبعوا بفكر المهدي ابن تومرت .

ـ عانت طبقة العامة من التهميش و الازدراء كما كانت الأزمات أشدّ عليهم من سواهم ،و ظهرت بأوساطهم ظاهرة التسول إذ راحوا يتحايلون على النّاس و يستعطفونهم لأجل الحصول على بعض المال ،و قطع الطريق على التجار رغم قدرة بعضهم على العمل.

ـ شهدت بلاد المغرب الإسلامي عدة انحرافات في البنى المجتمعية تنافت مع البعد الإسلامي فيها، منها الزنا و السرقة والتبرك بالأضرحة و غيرها من الانحرافات و البدع ،لذا سعى حكام الموحدين لمحاربتها فقد نادى المهدي ابن تومرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم ما جاء به هو نفسه من مخالفة لأهل السنّة كإدعائه المهدية ، أما فيما يخص بلاد الأندلس فإن طبيعة المجتمع الأندلسي جعلته يشهد العديد من الآفات الاجتماعية والتي عمل الموحدون على محاربتها منها انتشار المسكرات ومظاهر المجون.

ـ عمل الدولة الموحدية على محو المذهب المالكي في كل من المغرب و الأندلس بحجة اعتماده على التقليد دون الإجتهاد مع أنّه في الواقع كان بمثابة إعلان حرب على بقايا المرابطين باعتبار أنّه كان المذهب الرسمي للدولة المرابطية .

ـ عملت الدولة الموحدية على تقريب فئة المصوفة من بلاط الحكم لكن موقف المتصوفة الرافض للتقرب من السلطة و ثورة بعضهم على الحكم الموحدي في المغرب و الأندلس جعل الدولة الموحدية تعامل هذه الفئة بنوع من التضييق و الحزم بسبب تخوفها من انقلابها بحكم مكانتها لدى العامة من الشعب.

ـ وصل اهتمام بعض الحكام الموحدين بمحاربة الآفات العلمية إلى بعض المعتقدات التي كان من المفروض أنها جوهر الدولة الموحدية ، ونقصد بذلك الاعتقاد بإمامة وعصمة المهدي ابن تومرت و التي اعتبرها الخليفة المأمون بدعة ينبغي محاربتها، وقد كشف ذلك على مدى زيف المبادئ التي بنيت عليها دولة الموحدين.

ومن جانب آخر فإنه على الرغم من النسيج الإسلامي للمجتمع المغربي لكن كثيرا ما أخذ حكام الموحدين الناس ببعدهم عن الدين الصحيح وعقيدة التوحيد الصحيحة.

و الواقع أنّ بعض هذه الانحرافات قد ساهمت في ضعف الدولة الموحدية وكانت عاملا من عوامل سقوطها فعودة المذهب المالكي إلى واجهة مجتمع الغرب الإسلامي ساهم في تأليب السكان ضد الحكم الموحدي، إضافة إلى أنّ محاربة بعض الحكام الموحدين للعقيدة التومترية ساهم في تصدع النسيج الاجتماعي الموحدي وكشف مدى بعض زيف عقائد الدولة الموحدية.

و في الأخير نتمنى أن نكون قد استطعنا من خلال هذه الدراسة التاريخية الإلمام بأهم البدع و الانحرافات التي عرفها واقع المجتمع المغربي و الأندلسي خلال العهد الموحدي .

قائمة

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. **القرآن الكريم.**

2. الآبار(ت:658هـ/1260م)، **المعجم في أصحاب القاضي الإمام علي الصدفي** ، مصر،مكتبة الثقافة الدينية 2000.

3. الأثير الجزري (ت:630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، ج9، بيروت، دار الكتاب العربي ، 2012.

4. الإدريسي أحمد بن محمد الشريف (ت:560هـ/1165م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ،القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ،1963.

5. البيدق أبو بكر الصنهاجي (ت:55هـ/1160م)، **أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، 1971 .

6. تومرت المهدي (ت:524هـ/1129م)، **أعز ما يطلب** ، عمار طالبي ، الجزائر،دار الطباعة الشعبية للجيش،2007.

7. الخطيب لسان الدين(776هـ/1374م) ، **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب** ، ج:2، تح أحمد مختار العبادي المغرب ، 1985 .

8. الخطيب لسان الدين(ت:776هـ/1374م)،**الإحاطة في أخبار غرناطة**،مج4،تحقيق محمد عبد الله عنان،القاهرة،مكتبة الخانجي،ط1، 1977.

9. خلدون عبد الرحمن (ت:808هـ/1405م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، ج6، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001 .

10. خلدون عبد الرحمن، **المقدمة** ،بيروت،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،1986

11. خلدون عبد الرحمن، **شفاء السائل وتهذيب المسائل** . تح محمد مطيع الحافظ ،دمشق،دار الفكر،ط،1996.

12. خلدون يحي أبو زكريا (ت:780هـ/1478م)، مج1،**بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**،الجزائر مطبعة بيير فونتانا الشرقية.

13. دينار محمد بن أبي القاسم العريني (ت:1111هـ /. 1690م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**. تونس مطبعة الدولة التونسية ، ط1 ، 1986 .

14. الذهبي أبو عبد الله شمس الدين (ت:748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء** .ج: 20، عناية حسان عبد المنان، لبنان، دار الأفكار الدولية، 2004.

15. رجب الحنبلي(ت:795هـ/1392م)، **جامع العلوم والحكم** ،تح ماهر ياسين الفحل،دمشق،ابن الكثير للطباعة والنشر،ط1، 2008.

16. زرع علي الفاسي(ت:726هـ/1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** ،ج6، تح محمد الهاشمي الفيلالي ، الرباط ، 1993

17. الزيات أبي يعقوب التادلي (ت:628هـ/1230م)،**التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**،تح أحمد التوفيق،الرباط،كلية الآداب،ط1997،2.

18. الزركشي محمد ابن ابراهيم اللؤلؤي (ت:894هـ/1489م)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية** ، تح محمد قريمان و محمد صالح العسيلي ،تونس، المكتبة العتيقة ، ط1 ، 1998.

19. الشنتريني علي ابن بسام أبو الحسن، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،لبنان، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1997.

20. الضبي أحمد بن عبد الملك بن عميرة (599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس**،تح إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري،ط1، 1989

21. عبد الملك ابن عبد الله (ت:478هـ/1085م)، **غياث الأمم في التياث الظلم** . الإسكندرية، مطابع جريدة السفير، ط1، 1979.

22. عذارى المراكشي (حي سنة 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب** ،ج3، تح بشار عواد و محمود بشار عواد ، تونس ،دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 2013.

23. الفاسي الحسن بن محمد الوزان،وصف افريقيا،تر:محمد حجي،محمد الاخضر،الرباط،دار الغرب الاسلامي،ط2 ،1982.

24. القطان المراكشي (حي سنة 650هـ/1252م) ، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان** ، تح محمد علي مكي ، تطوان ،دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1990.

25. الماوردي علي بن محمد بن حبيب (974هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**،تح أحمد مبارك البغدادي،الكويت،دار ابن قتيبة،ط1، 1989.

26. المراكشي عبد الواحد(ت:647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،ج2، تح محمد سعيد العريان القاهرة، مطبعة الاستقامة ، ط1 ، 1994.

27. المقري أحمد التلمساني (ت:1048هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ج3، بيروت، دار الفكر، ط1. 1993.

28. مؤلف مجهول(1329هـ)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تح سهيل زكار / عبد القادر زمامة ،الدار البيضاء ، دار الرشاد الحديثة ، ط1 ، 1979.

29. ياقوت الحموي(622هـ/1225م)، **معجم البلدان**،ج3،بيروت،دار الجبل للطباعة،1988.

ثانيا : المراجع العربية :

30. أحمد موسى عز الدين ، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري القاهرة**، دار الشروق، ط1، 1983

31. بوتشيش ابراهيم القادري ، **الإسلام السري في المغرب العربي** ،القاهرة، دار سينا للنشر ط 1 1995 .

32. بوتشيش إبراهيم القادري ، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي** ،بيروت، دار الطليعة ، 2006.

33. بوتشيش إبراهيم القادري ،**المغرب و الأندلس في عهد المرابطين** ،بيروت،دار الطليعة للطباعة و النشر،1993.

34. بولطيف لخضر محمد ، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2009.

35. بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين/12و 13 الميلاديين**. عين مليلة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، 2004

36. . التويجري حمود بن عبد الله بن حمود ، **الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر** الرياض، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، ط1 ،1993.

37. التليلي عبد الرحمن ، **ابن رشد في المصادر العربية** . القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002.

38. حسن علي حسن ، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**. مصر، مكتبة الخانجي، ط1 ، 1980.

39. حمدي أيمن ، **قاموس المصطلحات الصوفية** ،القاهرة،دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع،2000.

40. دندش عصمت عبد اللطيف ، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** .ج: 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2008. .

41. . زغلول سعد، **تاريخ المغرب العربي** ،ج 1،مصر، دار المعارف ، ط1 ، 1993 .

42. السلاوي أحمد بن خالد الناصري ، **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى** ، ج1،القاهرة ،مطبعة بولاق ، ط1 ، 1994.

43. السيد عبد الهادي عبد الباقي، **تاريخ أهل الظاهر**،القاهرة ،دار الآفاق العربية ط1، 2014.

44. الصلابي علي محمد ، **تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين في الشمال الإفريقي** ،لبنان، دار المعرفة ، ط3 ، 2009 .

45. الصلابي علي محمد محمد ، **صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)** ، عمان ،دار البيارق للنشر.

46. طه جمال أحمد ، **الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي " عصر المرابطين و الموحدين "** ، المغرب ،الوفاء للطباعة و النشر ، ط1 ، 1987.

47. عبد الله محمد عبد الله، **ولاية الحسبة في الاسلام،** الكويت،المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،ط1 ،1998.

48. عبيدات دوود ، **الموحدون في الأندلس المغرب والأندلس ما بين 1146. 1268م**". الأردن دار الكتاب الثقافي.

49. عزاوي أحمد ، **رسائل موحدية** ،ج2،القنيطرة ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، ط1، 1995.

50. عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين و الموحدين** ، ج2،القاهرة مكتبة الخانجي ، ط2 ،1990.

51. كمال مصطفى،**جوانب من حضارة المغرب الإسلامي**،الإسكندرية،باب الجامعة،1999

52. محمد ابن أحمد الكانوني العبدي ، **علائق أسفي و منطقتها بملوك المغرب** ،المغرب، منشورات جمعية البحث و التوثيق و النشر ، ط1 ، 2004.

53. محمود أحمد بكير، **المدرسة الظاهرية بالمشرق و المغرب**، بيروت،دار قتيبة،ط1، 1990.

54. المنوني محمد ، **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين** ،الرباط، دار الغرب، ط2،1971

55. موسى عز الدين ، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم** . الرياض ،دار الغرب الإسلامي .

56. موسى محمد يوسف ، **ابن رشد الفيلسوف** ،القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2016.

57. مؤنس حسين ، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس** ، القاهرة،دار الرشاد ، ط5 ، 2000

58. مؤنس حسين،**فجر الأندلس**،القاهرة ،دار الرشاد،ط2، 1985.

59. الميلي مبارك بن محمد ، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** . ج2، تق تح: محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

60. النجار عبد المجيد ، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت " الحركة الموحدية في المغرب أوائل القرن السادس الهجري "** ،فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط 2 ، 1995.

ثالثا: المراجع المعربة

61. بالنتيا آنخل جنثالث ،**تاريخ الفكر الأندلسي**،تر حسين مؤنس،مصر،مكتبة الثقافة الدينية.

62. كولان،ج، س، **الأندلس**. تر: إ براهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1980.

63. لي تورتو روجي، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** ، تر أمين الطيبي ،ليبيا. تونس، الدار العربية للكتاب ، 1982.

64. ميراندا أومبروسيو هويثي، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية** ، تر عبد الواحد أكمير ، الدار البيضاء،مطبعة النجاح الجديدة ، ط1، 2004.

رابعا: الرسائل والأطروحات

65. جدو فاطمة الزهرة ، **السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين** . رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2007.

66. حاكمي الحبيب ، **الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين** . رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2009.

67. خيرة رقية ، **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين (5هـ . 6هـ/11م . 12م) دراسة في ظاهرة الانحراف**. أطروحة دكتوراه، معسكر، جامعة مصطفى اسطمبولي، 2017/2016 .

68. سيدي موسى محمد شريف ، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية في عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني (6هـ . 10هـ/12م . 16م)**.أطروحة دوكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2009/ 2010 .

69. شرقي نوارة، **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (1126م/1268م)**. رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، 2007/ 2008.

70. صديقي عبد الجبار ، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**. رسالة ماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2014/2013.

71. عياش الطاهر ،**الفقهاء المالكية والسلطة الموحدية في المغرب الإسلامي (510.668هـ/1116. 1269م)**. رسالة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2015/2014.

72. غانية البشير ، **الأولياء والمجتمع بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين** . أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر،2016/2015.

73. مزوزية حداد ، **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية** . رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، باتنة، جامعة الحاج لخضر، 2012. 2013 .

74. مسعودي شهيرة ورحومة عائشة ، **نظام الحكم في الدولة الموحدية وأثره في سقوطها** (1121. 1269م). مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، الوادي، جامعة الشهيد حمه لخضر، 2019/2018.

75. النجار عبد المجيد ، **المهدي ابن تومرت** . أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، ط1، 1982.

خامسا: المجلات والدوريات

76. كتورة جورج، "**التصوف والسلطة**". مجلة الإجتهاد ،س3، ع1991،12.

77. ولد حماد حمودي، "**مسألة الإمامة عند مهدي الموحدين ابن تومرت**". مجلة دراسات، س5، ع: 2، 2016.

فهرس
الموضوعات

الفهرس

البسملة

شكر وعرفان

الإهداء

المقدمة.....أ

الفصل الأول: الأوضاع العامة للدولة الموحدية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية لدولة الموحدين..... **7**

الأوضاع السياسية 7

الأوضاع العسكرية 13

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لدولة الموحدين .....17.

الأوضاع الاجتماعية 17

الأوضاع الاقتصادية 22

الفصل الثاني: الانحرافات الاجتماعية في المغرب والأندلس وموقف الموحدين منها

المبحث الأول: الانحرافات الاجتماعية في المغرب..... **31**

معاقرة الخمور 31

الانحلال الأخلاقي والفساد..... 33

السحر والشعوذة والتبرك 36

الحرابة (السرقة) والتسول 39

اختطاف وبيع النساء 41

المبحث الثاني: الانحرافات الاجتماعيّة في الأندلس **42**

معاقرة الخمور 42

الممارسات الجنسية المحرمة..... 43

اللصوصية 44

انتشار البدع والخرافات والممارسات الغيبية..... 45
الفصل الثالث: الانحرافات العلمية في المغرب والأندلس وموقف الموحدين
المبحث الأول: الانحرافات العلمية في المغرب 48
الاعتقاد بالإمامة والمهدوية والعصمة 48
البعد عن عقيدة التوحيد 57
الموقف الموحدي من المذهب المالكي..... 60
الموقف الموحدي من سلوك المتصوفة 63
المبحث الثاني: الانحرافات العلمية في الأندلس..... 67
نكبة ابن رشد في عهد المنصور..... 67
علم الفروع وفقهاؤه..... 70
إنحرافات المتصوفة..... 75
خاتمة 81
قائمة المصادر والمراجع 83
فهرس الموضوعات..... 91
الملخص